موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها "دراسة عقدية"

إعداد

أمجاد بنت عبدالله بن عبدالرحمن الربيعة

باحثة دكتوراه بقسم الدراسات الإسلامية

بكلية التربية بجامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية

من ٧٤٣ إلى ٨٠٨

The Position of Contemporary Western Modern Philosophy on the Importance and Need for Prophecy, a Doctrinal Study

Preparation
Amjad bint Abdullah bin Abdulrahman Al-Rabiah
PhD researcher in the Department of Islamic Studies
College of Education, King Saud University,
Kingdom of Saudi Arabia

موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها
"دراسة عقدية"

أمجاد بنت عبدالله بن عبدالرحمن الربيعة.
قسم الدراسات الإسلامية -بكلية التربية- بجامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني:aa.alrbeah@gmail.com

ملخص البحث :
هذا بحث، بعنوان (موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها، دراسة عقدية)، بحثت فيه مواقف الفلاسفة الغربيين من أهمية النبوة والحاجة لها، وذلك باستقراء كتاباتهم، ودراسة أقوالهم وبيان الأصول التي انطلقت منها مواقفهم، ونقدت أطروحاتهم في ضوء الكتاب والسنة، وهو بحث يرتكز على المنهج الاستقرائي الاستنتاجي، وجاء في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وتوصلت فيه إلى عدة أمور أهمها:

أن أهمية النبوة والحاجة لها ترجع في الأصل إلى غايتها العظمى وهي تعريف الخلق بالخالق، وتحقيق الإيمان بربوبيته، وألوهيته، وصفات كماله وجلاله، وتبليغهم أمره ونهيه وبيان سبيل مرضاته، وبيان المصالح الكلية وضبطها، مما لا يمكن معرفته إلا من طريق الإخبار عن الله، ولا سبيل إلى تحقيقه إلا من جهة الرسل، ولا يهتدي العقل إلى معرفة تفاصيله وحقائقه، ولا يمكنه الاستقلال بنفسه للاهتداء إليه، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إلى بعضه من حيث الجملة.

غياب القول بأهمية النبوة والوحي لتبليغ رسالة الخالق وتحقيق التعبد له، عند غالب الفلاسفة وأن مواقف الفلاسفة من الحاجة للنبوة مبنية على أصولهم الفلسفية ومواقفهم من الربوبية، ومنشأ الخلل عندهم هو قصور تصورهم لمعنى النبوة وأهميتها، وعدم فهمهم لغايتها، أو إنكارهم لذلك، وظنهم بأن ما جاء به الأنبياء مما يمكن الاهتداء إليه بالجهد والبذل من خلال العقل أو العلم أو غيره.

الكلمات المفتاحية : النبوة- الحاجة – الفلسفة - الحديثة - العقل – الإيمان .

The Position Of Contemporary Western Modern Philosophy On The Importance And Need For Prophecy, A Doctrinal Study

Amjad bint Abdullah bin Abdulrahman Al-Rabiah
Department Of Islamic Studies-College of Education, King Saud University, Saudi Arabia
EMAIL: aa.alrbeah@gmail.com

Abstract:

This is a study titled (The Position of Contemporary Western Modern Philosophy on the Importance and Need for Prophecy, a Doctrinal Study), in which I examined the positions of Western philosophers on the importance and need for prophecy by extrapolating their writings, studying their sayings, and clarifying the origins from which their positions stemmed, and their theses were critiqued in light of the Qur'an and Sunnah. It is inductive-deductive research that came in an Introduction, a Preamble, and Three Chapters, in which I achieved various conclusions, the most significant of which are as follows:

- That the significance and necessity of prophecy stem from its primary objective, which is to educate the creation about the Creator, to achieve (Tawhid Al-Uluhiyyah), maintaining the unity of worship of Allah, (Tawhid Al-Rububiyyah) maintaining the unity of the Lordship of Allah, and (Tawhid Al-Asma' was-Sifat) maintaining the unity of the Names and Attributes of His perfection and majesty, to communicate to them His commands and prohibitions, and to explain the path to His pleasure, and to clarify and control the overall interests, which can only be known through informing about Allah. And there is no means to reach it except through the Messengers, and the mind is not guided to the understanding of its intricacies and facts, and it cannot be guided to it on its own, even if it recognizes the importance of it generally.

According to most philosophers, the lack of expressing the necessity of prophecy and revelation in conveying the word of the Creator and achieving worshiping to Him, and that the philosophers' perspectives on the need for prophecy are dependent on their philosophical principals and their viewpoints on unity of the Lordship of Allah. The source of their flaw, in their opinion, is their misunderstanding of the meaning and significance of prophecy, their failure to understand or deny its purpose, and their belief that what the prophets brought is something that can be guided by effort and exertion through reason, knowledge, or other means.

Keywords: Prophecy - Need - Philosophy - Modern - Reason - Faith.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فيعد الإيمان بالنبوات أصلًا مهمًا في باب الاعتقاد، وركنًا عظيمًا من أركان الإيمان، فلا يتم إيمان الفرد إلا بالاعتقاد الجازم بأن لله أنبياء ورسلًا اصطفاهم وكلفهم بإيصال رسالاته للناس، وهذا الإيمان هو مفتاح المعرفة التفصيلية اليقينية بالله -تعالى- وبدينه وشريعته المنزلة؛ ولذا لا تخلو غالب الفلسفات القديمة والحديثة من موقف مفصل أو مجمل أو إشارة لهذه القضية خصوصًا ما كان منها متصلًا بمواطن النبوة، ومواقف الفلاسفة في مجملها قائمة على التصورات المتقررة عندهم عن الإيمان بالله، والفلسفة الغربية من أكثر الفلسفات حديثًا عن هذه القضية؛ لارتباطها بنقد المسيحية ومعارضة الكنيسة، ولهذه الفلسفة تأثير عميق في الواقع الإسلامي المعاصر، فقد تأثر كثير من المسلمين بها وبما تثيره من شبهات حول الأديان، تبدأ غالبًا في التشكيك بالنبوة، أو التكذيب بشيء منها، أو القول بتعطيلها تمامًا، أو تصويرها بصور مخالفة للحقيقة؛ لتصل إلى نقض الدين بالكلية، و إنكار وجود الخالق، ومن أهم الموضوعات المطروقة عندهم في هذا الباب موضوع الحاجة للنبوة وأهميتها فلابد من دراسة موقف الفلسفة الغربية منه، وبيان ما يحتويه من شبهات وإشكالات في تصور هذه القضية،

ونقضها والرد عليها؛ لذا كان هذا البحث لبيان موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها ودراسته ونقده.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أن موقف الفلسفات الغربية الحديثة والمعاصرة من الحاجة للنبوة مضلِّلٌ ومشكِّكٌ وغير واضح، ويختلف باختلاف الاتجاهات الفلسفية، والأصول والمرتكزات التي تقوم عليها هذه الفلسفات، وهو مؤثر في الواقع المعاصر، وله دور كبير في استدراج المتأثرين إلى دائرة الكفر والإلحاد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- خطورة المواقف الفلسفية من الحاجة للنبوة في الفلسفة الغربية، مما يقتضي ضرورة تصدي أهل الاختصاص لها.
٢- أهمية حصر المواقف الفلسفية المتعلقة بالحاجة للنبوة في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، وبيانها ورصد إشكالاتها، والرد عليها.
٣- أن هذه الدراسة تسهم في الرد العلمي على الشبهات المثارة في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة حول النبوة والأنبياء والوحي، والكشف عن أصولها المنهجية وآثارها العقدية، ونقدها في ضوء العقيدة الإسلامية.

أهداف البحث:

١-تحرير مواقف الفلاسفة الغربيين من أهمية النبوة والحاجة لها.
٢-بيان الأصول التي قام عليها موقف الفلسفة الغربية من أهمية النبوة والحاجة لها.

٣-الرد على أطروحات الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة حول أهمية النبوة والحاجة لها.

أسئلة البحث:

١- ما مواقف الفلاسفة الغربيين من أهمية النبوة والحاجة لها؟
٢- ما الأصول التي قام عليها موقف الفلسفة الغربية من أهمية النبوة والحاجة لها؟
٣- ما الرد على أطروحات الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة حول أهمية النبوة والحاجة لها؟

حدود البحث:

سيكون البحث -بإذن الله-محدوداً من الناحية الموضوعية بدراسة موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من الحاجة للنبوة وأهميتها، وما يرتبط بذلك من مسائل.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الاستنتاجي.

إجراءات البحث:

سيقوم البحث – بإذن الله – على جملة من الإجراءات التي تضبط مساره، وتتمثل فيما يلي:

- استقراء كتب الفلاسفة الغربيين المهتمة بموضوع النبوات في العصر الحديث، وذلك بقراءتها واستخراج المادة العلمية المتعلقة بموقفهم من أهمية النبوة والحاجة لها، وجمعها.
- دراسة مواقف الفلاسفة محل البحث حول الموضوع واستنتاج مواضع الإشكال فيها.

- دراسة الأصول التي يقوم عليها موقف الفلسفة الغربية من النبوة والأنبياء؛ لفهم المنطلقات التي ينطلقون منها في هذه المواقف.
- رصد الآثار الفكرية والعقدية الناتجة عن مواقف الفلسفات من أهمية النبوة والحاجة لها وبيانها ونقدها نقدًا علميًّا موضوعيًّا في ضوء الكتاب والسنة.
- اعتماد المنهج المتعارف عليه في البحث العلمي من تخريج للآيات والأحاديث، وتوثيق للنصوص المنقولة، ونحو ذلك.

خطة البحث:

يشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس.

المقدمة وفيها: التعريف بمشكلة البحث، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وأسئلته، وحدوده، ومنهجه، وإجراءاته، وتقسيماته.

التمهيد: ويتضمن التعريف بمصطلحات البحث، وهي:

- أولاً: تعريف النبوة.
- ثانياً: تعريف الوحي.
- ثالثاً: تعريف الفلسفة الغربية.

المبحث الأول: أهمية النبوة والحاجة لها.

المبحث الثاني: موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها.

المبحث الثالث: نقد موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها.

الخاتمة.

الفهارس.

التمهيد

أولاً: تعريف النبوة:

في اللغة: يدور معنى النبوة في اللغة على اشتقاقه من ثلاثة أصول، وهي:

- النبأ: وهو بمعنى الخبر، قال الراغب: "النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن"[١]، "ولفظ الإنباء في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الإخبار؛ فهو يستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة، دون المشاهدة المشتركة"[٢].
- النَّبْوة: وهي بمعنى الارتفاع. والنبوة والنباوة: ما ارتفع من الأرض. فإن جعلت النبي مأخوذاً من النَّبْوة أي الارتفاع، أي أنه شرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز.
- النَّبِيءُ: وهو بمعنى الطريق الواضح، وقال الكسائي: النَّبِيّ: الطريق. والأنبياء: طرق الهدى.

والنُبوة جامعة لهذه المعاني فهي في الأصل إخبار عن الله، وهي المنزلة الرفيعة المشرَّفة عن سائر منازل البشر، وهي الطريق الهادي إلى الله سبحانه وتعالى.[٣]

في الاصطلاح: النبوة خبر خاص يكرم الله عز وجل به أحدًا من عباده، ويوقفه به على شريعته، ويختاره لإبلاغها للناس، لا تنال بالتعلم والاكتساب، بل يميز الله بها من يختصه عن غيره بإلقائه الوحي إليه، والنبي: هو الذي

---

(١) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (٦٢٢).

(٢) النبوات، لابن تيمية (٢/٨٤١).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ٤٨٥- ٤٨٨). والصحاح، للجوهري (١/٧٤-٧٥). ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٥/٣٨٥). ولسان العرب، لابن منظور (١٥/٣٠١-٣٠٣). وتاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي (١/٤٤٣-٤٥٠).

ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به. [١]وهي داخلة في الرسالة ، والرسالة أخص من جهة أهلها، إذ كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، والرسالة أفضل من النبوة، والرسول أفضل من النبي[٢].

ثانياً: تعريف الوحي:

في اللغة: يطلق لفظ الوحي على عدد من المعاني كالإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، كما يشتمل على معاني الخفاء والسرعة. [٣]

في الشرع: لا يخرج معنى الوحي في الاصطلاح عن معانيه اللغوية، وقد استُعمِل في القرآن في عدد من هذه المعاني اللغوية، وقد عرفه العلماء بحسب وروده الشرعي في نصوص الكتاب والسنة باعتبارين، ذكرهما الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في تعريفه للوحي فقال: "شرعاً الإعلام بالشرع وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى وهو كلام الله المنزل على النبي "[٤].

وقوله كلام الله لا يُفهم منه تخصيصهم الإيحاء بالتكليم فقط فإن المقصود هنا هو المضمون الموحى به من الأخبار الغيبية والشرائع وهو ما قد يُعلِم اللهُ

---

(١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١-٢٣٩)، شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي (١/١٥٠)، النبوات، ابن تيمية (٢/٦٨٦-٦٨٧)، الأصول والفروع، ابن حزم (٢/٢٧٥-٢٧٦).

(٢) ينظر: الفرق بين النبي والرسول، د. ذياب بن مدحل العلوي، بحث منشور في مجلة الدراسات العقدية (٨/٢٢٤).

(٣) ينظر: الصحاح، للجوهري (٦/٢٥٢٠)، ولسان العرب، لابن منظور (١٥/٣٧٩-٣٨٢).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (١/٩)، وينظر في ذكره لصور الوحي (١/١٩).

به أنبياءه بأي طريق من طرق الوحي يشاء كالنفث في الروع، والإلهام، والرؤيا الصالحة، والتكليم بلا واسطة، وإرسال الملك.

ثالثاً: تعريف الفلسفة.

الفلسفة: هي النظر الفكري "العقلي" المنظم الذي يهدف إلى تحصيل المعرفة، وتكون غالبًا في مقابلة العلم الإلهي الذي يصل إليه الإنسان بطريق الوحي. ويشيع تعريفها في العصر الحديث بـــ : العلم بالمبادئ، وأهم مباحثها الوجود و القيم والمعرفة والمنطق، وقيل: الفلسفة: هي مرحلة التجريد العقلي[1].

وتقصد هذه الدراسة الفلسفة السائدة في الغرب التي تبحث في الإلهيات، والوجود، والقيم، والمعرفة، والمنطق من خلال النظر العقلي المنظم، وتُعنى بالمرحلة الزمنية التي تعرف في اصطلاح الفلاسفة الغربيين بالفلسفة الحديثة والمعاصرة.

الفلسفة الغربية الحديثة: هي الحقبة الفلسفية من ١٦٠٠م إلى ١٩٠٠م والتي تبدأ مع ديكارت وبيكون ومعاصريهم بنهاية عصر النهضة الذي يفصل بينها وبين الفلسفة المدرسية "فلسفة القرون الوسطى المسيحية"، وقد قامت هذه الفلسفة على التخلص من سلطتي رجال الكنيسة والفلسفة الأرسطية، والدعوة إلى الشك فيهما، وتحكيم العقل، وبناء المنهج العلمي الجديد، ومن أبرز ما اختصت به القول بالاتجاه الميكانيكي الذي يستبعد التصور العضوي

---

(١) ينظر: المدخل إلى الفلسفة، أزفلد كولبة (٢٥-٢٧، ٣٤٣)، مدخل إلى الفكر الفلسفي، جوزيف بوخينسكي،(٢٣-٢٦)، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (١٣٨-١٤٠).

والتدرجي للوجود، وبالاتجاه الذاتي الذي يجعل الإنسان مستقلًا عن الإله، ويحول اتجاه اهتمامه ناحية ذاته.[١]

الفلسفة الغربية المعاصرة: هي المرحلة الفلسفية التي بدأت في الغرب مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين وتمتد إلى العصر الحالي، وقد دخلت الفلسفة الغربية في بداية هذه المرحلة في أزمة عميقة تتمثل في ظهور حركات فكرية معارضة لكثير مما ساد في الفلسفة الحديثة كالمذهب الميكانيكي والذاتي، ووقوع اضطرابات اجتماعية واقتصادية، واتجاهات إصلاحية دينية، وقد امتاز هذا العصر ببروز اتجاهات جديدة في العلوم الطبيعية والرياضية.[٢]

المبحث الأول: أهمية النبوة والحاجة لها.

إن النبوة وبعثة الرسل ضرورة ملحة للبشر وحاجة ماسة يرتكز عليها صلاح أمر الدين والدنيا، ويتحقق بها الفلاح والسعادة فيهما، "فليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يُقدّر، ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده"[٣].

---

(١) ينظر: دروس في الفلسفة، يوسف كرم، إبراهيم مدكور (٢٢٩-٢٣٢)، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، أ.م.بوشنسكي (٢٣-٢٤).

(٢) ينظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، أ.م.بوشنسكي (٣٣) وما بعدها، تاريخ الفكر الغربي، غنار سكيربك- نلز غيلجي (٨٧٣) وما بعدها.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم (١٩/ ١٠١).

وترجع أهمية النبوة والحاجة لها في الأصل إلى غايتها العظمى وهي تحقيق الإيمان بالخالق جل وعلا وحده، والتسليم بربوبيته، وألوهيته، وصفات كماله وجلاله، وتعرف ضرورة النبوة والحاجة لها بالعقل، وقد أكدها القرآن الكريم وبينها وبرهن عليها في عدة مواضع، ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [سورة النحل:٣٦]. وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد:٢٥] وقوله تعالى: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) [سورة النساء:١٦٥].

وأهمية النبوة والحاجة لها من أوضح الأمور وأجلاها، وهي مبنية على عدد من المعاني الفطرية والضرورات العقلية، ومن أهمها:

- أن الخلق مفطورون على التعلق بالخالق، ومن ضرورات هذا التعلق ضرورة معرفتهم به جل وعلا، وتعلق قلوبهم بالبحث عن صفاته وكمالاته؛ مما يقصر عنه علمهم، ولا يمكن أن تحيط به عقولهم، التي لا تكشف من ذلك إلا القليل مما يمكنها إدراكه، ولا طريق إلى معرفته والكشف عن صفات جلاله ونعوت جماله وبيان ذلك بياناً واضحاً يروي تعطش النفوس إلى معرفة خالقها ويزيدها حباً ويورثها طاعة وتعبداً إلا ما كان عن الله ببعثة الرسل، وتعريفهم به، وتعليمهم ما تتعلق به حاجتهم من ذلك.
- أن خضوع المخلوقات لخالقها -سبحانه وتعالى- وتذللها له، واستشعارها لعبوديتها له جل وعلا، فطرة جُبِل عليها الخلق، فيجد البشر في نفوسهم ضرورة للخضوع والتعبد له سبحانه؛ يحتاجون معها

لمعرفة الطريق الحق الموصل إلى الله وإلى التعبد له، والتقرب إليه، وطلب مرضاته، لبيان ما يجدون أصله في فطرهم، وتتعلق به نفوسهم، ولا تتمكن عقولهم من إدراك معانيه بجلاء ووضوح، كما قد تغلب عليهم نوازع الهوى وتقلبات الأفهام مما تتناقض معه تطلعاتهم، وتصوراتهم عن العلاقة بالخالق جل وعلا، مما يدل على حاجتهم لبيان ذلك من الخالق سبحانه، ولا يتحقق ذلك، ولا تقوم الحجة عليهم فيه إلا ببعثة الرسل لتبلغهم أمر الله ونهيه وتبين لهم سبيل مرضاته، وطريق الوصول إليه سبحانه، وتحذرهم من الضلال عن طريق الحق، مما يتمكن معه المؤمن من الالتزام به عالماً متيقناً من تفاصيل مراد الله فيه.

- أن نفوس البشر قد تشوبها شوائب الميل والانحراف عن طريق الحق الذي فطرت عليه وذلك ناتج عما يختصون به عن باقي المخلوقات من الفكر والإرادة وغلبة الغفلة والنسيان وتتبع الأهواء، مما يصرفهم عن غاية وجودهم وهدف خلقهم، وهو ما يلزم معه وجود ما يذكرهم بخضوعهم لخالقهم وتوجيههم إلى عبادته وهذا لا يمكن أن يكون من أنفسهم مادامت هذه صفاتها بل لابد أن يكون من الخالق العالم بحالهم عن طريق بعثه للرسل.
- ضرورة معرفة البشر بما يتعلق بالجزاء من أمر المعاد وقضايا الموت والبعث والحساب وغيرها من الغيبيات الخالصة التي تتعلق بها حاجاتهم وليست مما يمكن أن تدركه العقول، بل لابد لمعرفتها من بعثة الله للرسل، وإنزال العلوم عليهم.
- حاجة البشر إلى معرفة المصالح الكلية التي يُميَّز بها بين النافع والضار في المعاش والمعاد، وضبط ذلك بمعايير وموازين ثابتة، وصالحة لتطبيقها على كل الأفراد، على تنوع طباعهم وبواعثهم، وعلى اختلاف الأزمنة والأمكنة، وهذا ليس في مقدور الإنسان لغلبة جهله، وعدم

تمكن عقله من الإحاطة بهذا المصالح الكبرى، وضبط تفاصيلها، مع ما ينازع ذلك من غلبة هواه، وعدم تجرده؛ مما يلزم معه أن تُقرر هذه المصالح وتوضع معاييرها وموازينها من العالِم بها سبحانه وذلك ببعثه للرسل والأنبياء ليبينوا للناس ما يصلح به أمر دينهم ودنياهم ويضعوا لهم معايير الحق، ويقيموا موازينه بينهم.

- حاجة البشر إلى قدوة يمتثلون طريقها ويقتفون أثرها لتدلهم على الصواب ويرون فيها نموذج السير في هذه الدنيا وعماراتها بما شرعه الله، والتعبد له كما أمر وأراد سبحانه، ولا يتحقق ذلك في أحد كما يتحقق في الأنبياء الذين يتصلون بالله وينزل عليهم وحيه ويؤيدهم بنصره.
- إن الإنسان مجبول على النظر والتفكر في نفسه وفي المخلوقات من حوله، والتطلع إلى معرفة غايات الخلق وعلله وكيفية نشأة المخلوقات، مما تعجز عن إدراكه أفهام البشر ولا يمكن التوصل إليه إلا بتعليم الخالق العالم بها جل وعلا، عن طريق رسله وأنبيائه.[١]

---

(١) ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، سلطان العميري (٢/٢٥٥-٢٦٦).

المبحث الثاني

موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها.

يعد الكلام في أهمية النبوة والموقف من الحاجة لها من أبرز الأمور التي عني الفلاسفة الغربيون بطرحها لبيان موقفهم من النبوة، وكانت حاضرة لديهم منذ بَدَأ العصر الحديث، وقد تباينت آراؤهم حولها، كتباينها في باقي القضايا، وكانت متأثرة بنظرتهم للخالق، ومؤثرة بشكل كبير في موقفهم من الإيمان بالنبوة، وقد انقسم الفلاسفة في هذا الأمر إلى اتجاهين ينطوي فيهما عدد من المواقف وهما:

الاتجاه الأول: القائلون بأهمية النبوة والحاجة لها، وهو الاتجاه الغالب على الفلاسفة المؤمنين بالنبوات، والمنتمين للأديان الكتابية، ويظهر في ثنايا كتاباتهم ودفاعهم عن الأديان، وينقسم هؤلاء الفلاسفة في قولهم بأهمية النبوة وتحديدهم للحاجة التي يرونها لها إلى عدة أقوال:

القول الأول: القول بأهمية النبوة والوحي لتبليغ رسالة الخالق وتحقيق التعبد له، وهو جانب مغفل عند غالب الفلاسفة القائلين بأهمية النبوة ويمكن ملاحظته في ثنايا كتابات بعض المهتمين منهم بتقرير العقائد النصرانية، ومع التحريف الشديد لمعنى النبوة عندهم وتداخلها مع الألوهية، إلا أنه يبقى عند بعضهم التأكيد على كون المسيح صلة بين البشر وخالقهم، ومن أبرز من عني بهذا وحاول إثباته:

بيليز باسكال: وتتمثل أهمية النبوة عنده في الحاجة التي تلبيها للناس، وتتلخص رؤيته في قوله: "أن الإنسان إذا لم يستطع أن يحل المشكلة التي تنشأ من طبيعته الخاصة، فلندعه يستجيب لله. ولكن أين يوجد صوت الله؟ ليس في الديانات الوثنية التي تعوزها الحجة والبرهان والتي تجيز الرذيلة، هل نجده في الديانة المسيحية؟ هنا نجد لدينا تفسيراً لشقاء الإنسان في

التفسير الخاص بالتوراة للخطيئة، ولكن العهد القديم ينظر إلى ما بعد، وتحققت نبوءاته في المسيح، الذي يقدم العلاج الذي لم تقدمه اليهودية، وهنا يكون لدينا الوسيط، والمخلص الذي تنبأ بالرسل، ويبرهن على حجته عن طريق المعجزات، وسمو عقيدته"(١)، ويؤكد على أهمية المسيح كوسيط في اعتقاده في قوله: "إن معرفة الله بدون معرفة شقائنا تنتج الكبرياء والخيلاء، ومعرفتنا بشقائنا بدون معرفة الله تنتج اليأس والشقاء، وتشكل معرفة يسوع المسيح النقطة الوسطى، لأننا نجد هنا كلًّا من الله وشقائنا"(٢)، ويرى أن النصرانية حين تأمر الإنسان أن يعترف بأنه رذل ممقوت وأنه يريد أن يكون شبيهاً بالإله فإنها تحقق التوازن للإنسان ليحيا بسعادة وتقى وأنس، كما يرى أنه لا يمكن معرفة الإله إلا بالمسيح ولولا هذا الوسيط لانتفى أي اتصال بالإله، وأن جميع الذين زعموا أنهم عرفوا الإله وأقاموا الدليل عليه بمعزل عن المسيح، لم يكن لديهم إلا أدلة واهية، ويرى أنه لا يمكن للإنسان أن يعرف نفسه ولا الحياة ولا الموت إلا بالمسيح.(٣)

القول الثاني: القول بضرورة النبوة والوحي والحاجة لها لتحفيز الأخلاق، والدلالة عليها، وهذا القول نابع عند أصحابه من إعلاء جانب العقل، والقول بكفايته للدلالة على الخالق وتحقيق الإيمان، ولكنهم يرون أن الديانة الطبيعية القائمة على دلالة العقل غير كافية لتحفيز الأخلاق وتدعيمها، ونجد هذا القول مشتهرًا ومنثورًا في كتابات عدد من الفلاسفة المؤمنين أو المقرين بالنبوات، خصوصاً في القرن السابع عشر، ومن أشهر من قال بذلك، جون لوك: وهو مع كونه رجلاً مؤمناً بالمسيحية معتقداً صحتها في

---

(١) تاريخ الفلسفة، فردريك كوبلستون (٤/٢٣٦-٢٣٧).

(٢) خواطر، بيليز باسكال (١٧٢).

(٣) ينظر: خواطر، بيليز باسكال (١٧٣-١٧٦).

العموم ومتمسكاً بها إلا أنه تبع الفلسفة السائدة في عصره في إعلاء العقل والاعتقاد بأن الوحي لا يغير الديانة الطبيعية بل يجعلها أكثر وضوحا وأشد تأثيرا فقط، وهو يرى ضرورته معللاً ذلك بأنه بالرغم من مقدرة العقل على أن يقود إلى حقائق الدين الطبيعي إلا أن الناس قد فقدوا معرفة الديانة الطبيعية، وذلك بسبب اختلاف الأفهام والأفكار الموروثة وكثرة الآراء الباطلة [١]، ولكنه مع ذلك يقرر أن الحاجة الأساسية للوحي هي إصلاح الأخلاق وتحفيزها، حيث إن الديانة الطبيعية في رأيه ليست كافية لإصلاح الأخلاق وإنما يحتاج الناس إلى حافز أقوى منها لأجل الأخلاق وهذا ما يحققه الوحي بإضافة بعض الحقائق وبعض الواجبات، أما ما سوى ذلك فلا يَرى للوحي نفعًا فيه[٢]، فيقول في ذلك: "لم تبق حاجة أو نفع للوحي في مثل هذه الأمور كلها، طالما أن الله أعطانا وسائل طبيعية أكثر يقينا لنتوصل بها إلى معرفة هذه الأمور؛ لأن الحقائق التي تتضح لنا من معرفتنا لأفكارنا أو تأملنا لها، تكون دائما أوثق من تلك التي تأتينا عن طريق الوحي التقليدي" [٣] ، وبناء على رؤيته هذه فقد سعى جاهداً من خلال فلسفته إلى تحويل الدين من الاهتمام بالقضايا اللاهوتية إلى القضايا الأخلاقية.

وقد تابعه في القول بضرورة الوحي للناحية الأخلاقية عدد من الفلاسفة المعاصرين له، ومنهم صموئيل كلارك الذي قال بأنه على الرغم من أن

---

(١) ينظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال (٤٢٣/١). وجون لوك إمام الفلسفة التجريبية، راوية عبد المنعم عباس (١٥٦).

(٢) ينظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال (٤١٩/١-٤٢١) وتاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت (١٧٣).

(٣) تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال (٤١٩/١)، نقلاً عن مقال في الفهم البشري، جون لوك.

المبادئ الأساسية للقانون الأخلاقي واضحة بذاتها للعقل فإن الحالة الفعلية للإنسان يظهر فيها ضرورة تعلم الحقيقة الأخلاقية من خلال الوحي، وهو ما يرى تحققه في الدين المسيحي.(١)

الاتجاه الثاني: القول بعدم الحاجة للنبوة، وهو الاتجاه الغالب على الفلسفة الغربية منذ بداية القرن الثامن عشر وما بعده، والفلاسفة في ذلك على عدة اتجاهات وأقوال، ومنها:

القول الأول: القول بعدم الحاجة للنبوة والوحي في تبليغ رسالة الخالق، ولا تقرير الحقائق والأخلاق، وأن العقل قادر في الأصل على تحقيق ذلك، مع الإقرار بحاجة بعض الناس لها ممن لم يكن له القدرة على إدراك الحقائق العقلية أو الأخلاقية أو تحقيق السعادة استناداً على دلالة العقل، وهذا القول مع أنه تابع للاتجاه الناقد للنبوة القائل بعدم ضرورة الوحي وعدم الحاجة له، إلا أن القائلين به لم يصرحوا بالرفض وإنما أقروا بفائدته لمن احتاجه، وهو قول مشهور وقد ذهب إليه عدد من الفلاسفة من المنتسبين للأديان وغيرهم ومن أشهرهم:

سبينوزا: فهو حين قرر أن النبي مجرد رجل فاضل يتميز بالتقوى والإيمان وقد تَهيأ خياله لتصور الوحي، دون أن يكون لذلك حقيقة قائمة فعلاً، بدلاً من أن يصرح بإنكار الحاجة للنبوة وعدم الإيمان بها تبعاً لذلك عدل عنه إلى القول بأن الحاجة للنبوة قائمة لمن لا يستطيعون إدراك الفضائل والسعادة بالعقل والنور الفطري، وأن مهمة النبي تعليم الفضيلة الحقة وتهذيب البشر ودعوتهم إلى الخير والعدل حيث هذا هو بحسب دعواه هدف الوحي وجوهره الذي يتمثله النبي خُلقاً وينال به مكانته وتقديره بين الناس (٢).

---

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة، فردريك كوبلستون (٥/٢١١-٢١٢).

(٢) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا (١٣٧، ١٦٢، ١٧٣).

هوبز: فكما تبين سابقاً حين عرف النبوة فقد كرر مراراً أنه لا يمكن لمن لم يحصل له وحي بالطرق التي تفوق الطبيعة التأكد من الوحي الذي نزل إلى غيره، ولا يستطيع أحد أن يعلم حتماً بواسطة المنطق الطبيعي أن شخصاً آخر قد تلقى وحياً إلهياً فائق الطبيعة بل يستطيع فقط تصديقه، ولا يلزمه ذلك، وسيكون لكل شخص إيمان أقوى أو أضعف وفقاً لإشارات الوحي المتجلية له ودرجة قوتها، وهو حين قرر ذلك أكد على أن سعادة الإنسان ليست مربوطة بهذا الإيمان بل تحصل بالأسباب العادية والطبيعية، وبذلك فلا يرى حاجة ماسة للنبوة ولا صلاح لأمور الدنيا أو الآخرة بها، بل ذلك لا يحصل في اعتقاده إلا من خلال ضمان سيادة الحاكم المدني الدنيوية والأخروية في الدولة وذلك بوصفه وكيلاً عن الإله على الأرض لفرض حظر على الخلاف حول الحكم الأخلاقي[١]، وهو يذهب إلى أنه من المفترض أن يُترك أمر دعم أو منع الأنبياء إلى الحاكم المطلق، فإذا ما قام الحاكم المطلق بإنكارهم فلا يجوز إطاعة أقوالهم، وإذا ما اعترف بهم وجب إطاعتهم... وبذلك فعلى المسيحيين أن يعتبروا حاكمهم المطلق نبياً من أنبياء الله.[٢]

وهو في دراسته للنبوة كما في سائر فلسفته يركز على الجانب الدنيوي، حيث اتسمت فلسفته عموماً بأنها أقل اهتماماً بالخالق والحياة الأبدية مقارنة باهتمامه بالحفاظ على الحياة في هذا العالم وتطويرها، وهذا ظاهر في مقاربته للإنسان والدولة[٣]، ولذلك فقد حوّل مسألة النبوة إلى جزء من

---

(١) ينظر: اللفياثان، توماس هوبز (٢٨٦-٢٨٧، ٣٨٣)، والجذور اللاهوتية للحداثة، مايكل ألين جيلسبي (٣١٠-٣١١).

(٢) ينظر: اللفياثان، توماس هوبز (٤٢٥).

(٣) ينظر: الجذور اللاهوتية للحداثة، مايكل ألين جيلسبي (٢٩٩).

المشكلة السياسية وقلل من أهميتها والحاجة لها وصرفها عن الهدف الأساسي في سبيل علاج القضية الأهم بالنسبة له.

ومع تصريحه بعدم الحاجة للنبوة والوحي، فقد برر الإيمان بالنبوة والاعتقاد بالمسيحية مع وجود أسرار عديدة فيها تفوق العقل أو تخالفه ولا يستطيع إدراك حقيقتها بأن هذه الأسرار تشبه الدواء الذي يشعر المريض بمنفعته فور تناوله ولكنه إذا فكر فيه ملياً لم يجد له مفعولًا، وكأنه يشير إلى منفعتها لتحقيق حاجة الإنسان للانتماء الديني والروحي دون أن يكون وراء ذلك أي غاية.[١]

القول الثاني: القول بعدم الحاجة للنبوة والاستغناء عنها، وعدم تحقيقها لأي من الفوائد والغايات الدينية أو الأخلاقية أو غيرها، وهو قول عامة المنكرين للنبوة من الفلاسفة الربوبيين أو الملحدين، وهم لا يُرجعون ذلك إلى قول واحد بل تختلف اعتراضاتهم على أهمية النبوة على عدة أقوال، أبرزها:

أولاً: القول بقدرة العقل على الدلالة على الخالق، وكفايته لتمييز الحقائق والمنافع، بما لا يدع للنبوة حاجة تختص بها، وهذا من أشهر الأقوال المعارضة للنبوة وهو قول عامة الربوبيون، وقد ظهر عندهم في القرن السابع عشر على يد اللورد هربرت أوف تشيربري، الذي ادعى أن كمال الخالق يقضي بوجود طريق للخلاص متيسر لجميع الناس، وأن رسالات الوحي الخاصة لا تحقق ذلك، وأن هذا الطريق هو عقل الإنسان الطبيعي الذي يجب أن يكون الخالق قد غرس فيه كل ما هو ضروري، كما أسهم في تأسيسه موقف جون لوك ونيوتن القائل بالدين الطبيعي مع الإيمان بالنبوة وتقليل أهمية الوحي في الدلالة على الخالق وتأسيس الإيمان به، والدعوة

(١) ينظر: اللفياثان، توماس هوبز (٣٦٦).

إلى مسيحية معقولة ومعتدلة، والذي تطور إلى رفض الوحي كلياً والزعم بعدم الحاجة له وكفاية العقل لمعرفة الخالق، وتقرير حقائق الدين عند من جاء بعدهم كفولتير، وديدرو وتوماس بين وغيرهم، الذين أظهروا مهاجمة شديدة وعداوة للنبوة والوحي.(١)

يقول رونالد سترومبرج في (تاريخ الفكر الأوربي الحديث) في وصف موقف الربوبيين من الحاجة للوحي: "لقد زعم الربوبيون بوجود نور العقل داخل جميع البشر، وهذا النور يمكنهم من إدراك جميع الحقائق الدينية الضرورية دون أن يكونوا في حاجة إلى دعم من وحي، أو إلى إلهام. ولكنهم قالوا من ناحية أخرى إن معظم الناس ما عدا القلة النيرة منهم يفتقرون إلى القدرة على فهم تلك الحقائق. ولكي يزيلوا التناقض السالف الذكر، زعموا بأن مؤامرة إكليريكية أفسدت الجنس البشري، كي تبقيه مقيداً في الأغلال. ولكننا نسمعهم يعترفون بين حين وآخر بأن الكثيرين من الناس ينبغي أن يقادوا بآمالهم ومخاوفهم اللا معقولة، لا بعقولهم. ومن ثم يقولون، كما قال بنىامىن فرانكلىن: إنه من الحكمة أن نخفي عن الناس بطلان إيمانهم، ولربما تقوم المسيحية فتقدم إلينا بشكل مجازي الحقائق ذاتها التي يكسوها الفيلسوف بقماش العقل - وإن مسيحية صحيحة ستقوم بذلك تأكيداً. وهكذا تغدو أداة عظمى للخير، لقد قال فرانكلين: "إن المسيحية قد لا تكون صحيحة

---

(١) ينظر: تكوين العقل الحديث، جون هرمان رانـدال (١/٤٢٠-٤٣١)، تـاريخ الفكـر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج (١٧٥-١٧٧)، وتاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت (٢٢٨-٢٢٩، ٢٤٨-٢٤٩)، وتـاريخ الفلسـفة، فريـدريك كوبلسـتون (٥/٢١٤).

الصحة الصارمة، لكنها تأكيداً نافعة لا بل جزيلة الفائدة، بينما أن مذهباً ربوبياً قد يكون صحيحاً لكنه لن يكون ذا نفع أو فائدة"[١].

ثانياً: القول بكفاية الضمير أو الوجدان في الدلالة على الخالق، وتمييز الحقائق والمنافع، بما لا يدع للنبوة والوحي والعقل حاجة لذلك، وقد اشتهر هذا القول عن جان جاك روسو، والذي زعم تبعاً لما قرره في الدين الطبيعي أنه ليس للنبوة أي أهمية أو حاجة لتعريف الإنسان بالخالق وتقرير مصالح الفرد والمجتمع، وقال بكفاية الضمير أو الوجدان لتحقيق ذلك، كما قال أن الاكتفاء بالضمير وقدرة كل فرد على معرفة الخالق من خلال ملكاته الطبيعية عوضا عن أن يُبلَّغ به من شخص آخر يبلغه الله هو لازم العدل الإلهي بين البشر، لما يحققه من تساوي البشر في التمكن من معرفة الخالق ومراده، وقلة العوائق في الوصول إليه، إضافة إلى أنه يحقق اجتماع الناس على دين واحد خلاف ما نتج عن النبوات بحسب دعواه من نزاع واختلاف وتعدد الآراء والأهواء، مع إنكاره لأهمية الشعائر التعبدية وإنكاره كذلك الحاجة للوحي لتعريف الناس بمراد الله في هذه الشعائر، حيث عدها من قبيل الأمور التنظيمية والسياسية للناس مما يمكن تمييز ما يصلح فيه من خلال صوت الضمير وما يصطلح الناس عليه اجتماعياً.[٢]

وقد سبقه إلى هذا القول بيير بايل الذي كان يرى أن الإيمان بالأديان مناقض للعقل، وأن الضمير والمشاعر الفردية هي ما يمكن أن يقنع الإنسان بالدين، فكان يدعو إلى أن يُترك كلُّ إنسان لضميره، وأنه المرجع الوحيد الذي ينبغي

---

(١) (١٨٢).

(٢) ينظر: دين الفطر، جان جاك روسو (٨٩-٩٦).

الرجوع إليه، وليس لأحد أن يرغم ضمير غيره على أي عقيدة، ويدعو إلى التسامح التام. [(١)]

ثالثاً: القول بكفاية العلم التجريبي لإصلاح الكون، وحفظ حاجات البشر، وتسيير أمور حياتهم، وتعريفهم بالحق والخير فيها، وقد اشتهر هذا القول مع بداية القرن التاسع عشر حيث اشتدت النزعة المادية والطبيعية، وسيطرت الثقة بالنظريات التجريبية على غالب الاتجاهات الفلسفية، وانتشر الإلحاد، وقد برز هذا القول عند عدد من الفلاسفة الملحدين ومنهم:

برتراند رسل: الذي يرى أن أي معرفة ممكن الحصول عليها يجب أن تتحصل عبر الطرق العلمية، ومالا يمكن للعلم اكتشافه لا يمكن للإنسان معرفته، ويزعم بأن العلم يستطيع الآن أن يساعد البشر في تجاوز الخوف من المجهول الذي يرى أنه سبب اختراع الإنسان للأديان، ولذا فلا حاجة للبحث عن دعم الأديان التي يصفها بالخيال والخرافات المؤذية، ويبني ذلك على أن العلم رفض كثيرًا مما ورد في الكتاب المقدس على أنه حقيقة موحى بها، وأثبت بطلانه، ويقول بأنه يمكن التوفيق بين العلم والدين وتحقيق فائدة منه فقط حين يكون المقصود بالدين مجرد نظام أخلاقي وضعي لا تعلق له بوحي أو نبوة.[(٢)]

تيار الوضعية المنطقية: الذي يرفض كل ما وراء الحس، ويرى سيادة العلم التجريبي، ويقوم على الرغبة في إعادة تكوين علم موحد لا يستند إلى شيء من الفلسفات السابقة، وتكون مهمة الفلسفة فيه هي خدمة العلم بتحليل لغته

---

(١) ينظر: موسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي (٤٠١/١).

(٢) ينظر: لماذا لست مسيحياً، برتراند رسل (١١، ٣١، ٣٤)، والدين والعلم، برتراند رسل (٧-١٣)، وما الذي أؤمن به مقالات في الحرية والدين والعقلانية، برتراند رسل (١١٢، ١١٧، ١٢٢).

ووضع منطق له باستخدام منهج مبتكر في التحليل المنطقي اللغوي، ويتلخص موقفهم في أنه لا توجد أية قضية إلا قضايا العلم الواقعية، ويرون أنه باستطاعتهم البرهنة من خلال التحليل اللغوي على أن جميع القضايا الأخرى غير العلمية لا وجود لها، وأنها قضايا كاذبة، وأن القضايا التي أشغلت الفلاسفة وعلماء اللاهوت والأخلاق فيما مضى كقضايا الله والحرية والروح والغاية والأخلاق.. إلخ إنما كان الخوض فيها هدر للوقت ومضيعة للجهد.[١]

رابعاً: القول بالتطور التاريخي وأثره في انتفاء الحاجة للنبوة: فقد اهتم عدد من الفلاسفة الغربيين منذ بداية القرن السابع عشر بالتطور التاريخي للفكر البشري والذي يركز على تقدم الإنسانية، باعتبار أن العقل المستنير يحتوي في ثناياه على تجربة العصور السابقة، ويعبر عن التاريخ كله بتراكم علومه ومعارفه وفنونه، وهم في الغالب يقسِّمون التقدم الإنساني إلى مراحل متخيلة بصورة تشابه نمو الإنسان، فجعلوا الإنسان في المرحلة الأولى كالطفل حين كان مشغولاً بإشباع رغباته الأولى وحاجاته الضرورية، ثم في مرحلته الثانية يصبح شاباً عندما أصبح قادراً على تذوق الفنون وعلوم البلاغة والشعر وفي مرحلته الثالثة وصل إلى سن الرجولة وأصبح قادراً على الاستدلال والاستنارة وهي المرحلة التي تمكنه من الحصول على الكمال إذا استطاع تنحية ما يتنازعه من الرغبات في المستقبل الذي يشكل عند البعض مرحلة النضج وعنفوان الذكورة.[٢]

---

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج (٦٠٠-٦٠٣)، والفلسفة المعاصرة في أوروبا، أ.م.بوشنسكي (٨١-٨٤)، وحكمة الغرب، برتراند رسل (٢/٢٢٤-٢٢٧)، ومدخل إلى الفلسفة المعاصرة، محمد مهران رشوان (١٧٩).

(٢) ينظر: تربية الجنس البشري، لسنج (٥١).

ومذاهب الفلاسفة فيها وإن اختلفت تفاصيلها حول التطور التاريخي للإنسانية إلا أنها في الغالب تركز على استمرار التقدم وحتميته وضرورته، وتَعُد المرحلةَ الدينية وفيها الإيمان بالألوهية والنبوات جزءًا من مرحلة البداية أو طفولة البشرية التي كانت تحتاج الدعم والرعاية حتى كبرت واشتدت في مرحلتها المتقدمة ولم تعد بحسب زعمهم بحاجة للاستناد إلى غير العلم والعقل، وبالتالي فهم يقولون بأن الإيمان بالإله وإرساله للرسل لدعوة الناس وتعليمهم وإثبات ذلك بالمعجزات كان مناسباً لفترة محددة بحسب المرحلة التاريخية وحاجة أفرادها، وأما العصر الحديث الذي يعدونه العصر الذهبي للإنسانية فلا حاجة له بذلك حيث انتصر فيه العقل والعلم على الخرافة، وأصبح الإنسان فيه مستقلاً حراً عاقلاً مريداً قد اعتلى قمة ما وصل إليه الإنسان من تقدم وهو قادر بذلك على تحقيق ارتقائه دون الحاجة لمعين، ومن أبرز من اهتم بهذه الفكرة واهتم بإقامتها على الدين من الفلاسفة:

جونهولد إفراييم لسنج: (١٧٢٩-١٧٨١): الذي قدم فكرة التطور كحل للصراع بين الوحي والعقل ومحاولة ساذجة لتجاوز التعارض بينهما في كتابه تربية الجنس البشري فادّعى أن دور الوحي السماوي في حياة الجنس البشري كدور التربية في حياة الفرد أي أنه دور متطور باستمرار ونسبي مساير لطريق تقدم الإنسانية إلى النضوج، حيث يرى أن تطور التربية الدينية للجنس البشري يمر بثلاث مراحل: في المرحلة الأولى -الطفولة- التي تتمثل في العهد القديم من الكتاب المقدس حيث ارتفع اليهود وتطوروا تدريجياً من الإيمان بتعدد الآلهة إلى تصور وحدانية الله واقتصر هذا عليهم، واعتمدت هذه المرحلة على المعاني الحسية كالعقوبة والثواب، ولكن بغير إيمان بحياة في المستقبل، ثم تطورت تدريجياً وتجاوز البشر هذه المبادئ

الأولى التي وردت في العهد القديم، وتهيأ الجنس البشري لاستقبال الخطوة الثانية في التعلم والتي تناظر مرحلة الصبا أو المسيحية والعهد الجديد وهي المرحلة التي دعا فيها المسيح إلى إله عالمي، وإلى الثواب الأبدي للصلاح بدلاً من الثواب المباشر، وإلى نقاء الإنسان من الداخل كإعداد لخلود الروح ثم تنمو البشرية فتصل للمرحلة الثالثة وهي مرحلة الإنجيل الأبدي ودين العقل الذي صاغته فلسفة التنوير حينها بلغت الإنسانية مرحلة النضج لتدرك عقلانياً ما كانت تتقبله كوحي فحسب يوماً من الأيام، فيتحد الوحي بالعقل ويستمر التطور الدائم خلال التاريخ البشري بكامله الذي يتجسد فيه نمو الإنسانية وتطورها للوصول إلى المعرفة والحقيقة.(١)

يقول فرانكلين باومر معلقاً على نظرية لسنج للتطور التاريخي: "ويلاحظ أن نظرية لسنج كانت تؤمن بالنعمة الإلهية، وكانت غائية ... وكان التيار التاريخي خاضعاً لتوجيه الله من البداية إلى النهاية، رغم أن الإنسان يساق في نهاية المطاف إلى اتباع الاستدلال بينه وبين نفسه، وكما حدث في حالة تعلم الفرد، ولما كان من العسير تحقيق كل شيء دفعة واحدة، فإن قدرات الإنسان لم تتبع في نظامها أي اتجاه عشوائي، وهذا ما راعاه الله أيضا في وحيه، إذ اضطر إلى اتباع نسق معين في رسالته إلى البشر، وهكذا في النهاية لابد أن نستخلص أن لسنج كان أيضا من المؤمنين بالمطلق، فهناك خطة إلهية للتعلم: إنها بشارة أبدية جديدة يتبعها الجنس البشري، وما

---

(١) ينظر: تربية الجنس البشري، لسنج (٨١، ٨٤-٨٦)، والفكر الأوروبي الحديث الاتصال والتغير في الأفكار، فرانكلين باومر (٢/٧٢)، وتكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال (٢/٤١٤-٤١٥)، وموسوعة الفلسفة، عبدالرحمن بدوي (٢/٣٦٠-٣٦١).

استحدثه لسنج وسيطر على الهيجلية هو الاعتقاد بأن هذه البشارة الأبدية ستتكشف مع الزمان وهو ما يعني حدوث اتساع في الوعي الإنساني"[(١)].

ولكن من جاء بعد لسنج من فلاسفة القرن التاسع عشر ساروا بفكرة التطور إلى الإلحاد والاستغناء عن الألوهية ونبذ كل ما هو خارج الطبيعة، ومنهم:

أوجست كونت (١٧٩٨-١٨٥٧): مؤسس المذهب الوضعي، الذي يقوم على النظر إلى كل الظواهر على أنها خاضعة لقوانين طبيعية ثابتة، ولا يقبل البحث فيما يتجاوز نطاق التجربة والمشاهدة، وقد وضع كونت قانونًا لتطور التفكير الإنساني تاريخياً، حصره في ثلاثة أطوار، وهي أطوار خيالية لا يمكن إثباتها من خلال منهجه البحثي القائم على التجربة والمشاهدة، وتتلخص فيما يلي:

الطور اللاهوتي: وهو بداية التفكير الإنساني، وفيه يفسر الإنسان كل الظواهر بردها إلى أسباب خارقة على الطبيعة، فيقرر أن ثم عللاً خفية فوق طبيعية هي التي تحدث المطر والرعد والزلازل والبراكين ونمو الأشجار وموت الأحياء... إلخ، وهذه القوى الإلهية يسميها آلهة أو عفاريت أو أشباحاً... إلخ، وفي هذا الطور يسعى الإنسان إلى معرفة الطبيعة الباطنة للموجودات، والعلل الأولى والنهائية لكل المعلولات معرفة كاملة، ويتصور الظواهر على أنها ناتجة عن التداخل المباشر لعوامل خارقة على الطبيعة.

واللاهوت عند كونت لا يقصد به دراسة الحقائق المنزلة والوحي ولا التقاليد الدينية التي يتلقاها الطفل عن والديه، فلم يكن هذا الأمر محل عنايته بل جل ما يقصده كما تقدم هو تفسير ظواهر الطبيعة بإرجاعها لإرادات خفية أو خرافات حيث إن العقل عنده في هذا الطور لم يكن في استطاعته أن يفسر الطبيعة إلا بفلسفة ذات صبغة دينية، لأنها هي الوحيدة التي تنشأ بصفة

---

(١) الفكر الأوروبي الحديث الاتصال والتغير في الأفكار (٧٢/٢).

تلقائية ولا تفترض وجود فلسفة أخرى قبلها، وهي بحسب تصوره بداية تلقائية وحتمية وضرورية ومؤقتة لحركة تطور التفكير الإنساني.

الطور الميتافيزيقي: وهو مجرد تعديل للطور اللاهوتي، ويشترك معه في خصائص عديدة. ففي هذا الطور يسعى الإنسان إلى البحث عن العلل الأولى، والوصول إلى معرفة المطلق. لكنه يستبدل بالعوامل الخارقة على الطبيعة فيتصور أن قوى مجردة قادرة بنفسها على إحداث كل الظواهر المشاهدة.

الطور الوضعي: وفيه يكتفي الإنسان بالمعرفة النسبية، معرفة الظواهر وعلاقاتها ببعض، وينبذ تجريدات الميتافيزيقا. وهو ما سار عليه العلم الحديث فقانون الجاذبية الذي وضعه نىوتن مثلاً هو نموذج التفسير في الطور الوضعي إنه يفسر مجموعة هائلة من الظواهر المتنوعة، لكنه لا يقول شيئاً عن الثقل والجاذبية كما هما في ذاتيهما، فهذه أمور يمكن أن نتركها لتخيلات اللاهوتيين وتدقيقات الميتافيزيقيين، وهذه المرحلة عنده هي الفلسفة النهائية الوحيدة، والتي تستخدم لجميع أنواع الظواهر دون استثناء، وتحقق الوحدة التي يتطلبها العقل. [١]

فويرباخ (١٨٠٤-١٨٧٢): وهو فيلسوف مادي، ألف كتاب (ماهية المسيحية) الذي يُعتبر الكتاب المقدس للنزعة الإنسانية الملحدة كما يتصورها هو، والتي تجعل من الإنسان كائناً مطلقاً، وتمجد القيم الإنسانية المحضة، ولا تعترف بأي كائن فوق الإنسان، ومن أهم أفكاره حول الدين القول بأن الدين المسيحي من نتاج الوعي الإنساني، وأن الإنسان سعى منذ وقت طويل إلى السير في طريق التحرر من الدين[٢]؛ ويزعم أنه مر في ذلك بثلاث

---

(١) ينظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل (٣٥-٤٣)، موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢/٣١٢-٣١٣).

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة، القرن التاسع عشر، إميل برهييه (٢٥٢-٢٥٤)، موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢/٢١١-٢١٣).

مراحل تاريخية، وهي في الحقيقة مراحل خيالية، لا يمكن إثبات شيء منها، أو الاستناد فيها على معطيات تاريخية ثابتة وواضحة، وتتلخص هذه المراحل فيما يلي(١):

في المرحلة الأولى يزعم أنّ الإنسانَ والإلهَ ممتزجان معاً في حضن الدين.

وفي المرحلة الثانية يرى أن الإنسان أخذ يتباعد عن الإله كىما يسترد ذاته ويستقل بقواه، وكان اللاهوت هو التعبير عن هذا المسعى؛ رغم ما يبدو في ظاهره من أنه دفاع عن العقائد الإيمانية بالطرق العقلية، إذ يرى أن اللاهوت انتهى إلى توكيد وجود هوة سحيقة تفصل بين الإنسان والإله، وإلى توكيد العلو المطلق للإله، وبالتالي البعد الهائل بينه وبين الإنسان.

وفي المرحلة الثالثة، وهي التي يدعو فوىرباخ إلى السعي الحثيث في سبيل تحقيقها، هي المرحلة التي يدّعي فيها أن الإنسان يسترد ماهيته ويملك جوهره من جديد، ويصبح بحسب زعمه يعرف أن العلاقة بينه وبين الإله ليست إلا إسقاطا للعلاقة الموجودة بين الكائن الإنساني وبين النوع الإنساني، وأن على الفرد الإنساني أن يسعى في نطاق مجاله إلى تحقيق الأهداف المشتركة بين أبناء النوع الإنساني كله، ليصير الإنسان في إطار النوع الإنساني كله إلها بالنسبة إلى الإنسان.

ومع أن هذه الفلسفات التاريخية بتنوع اتجاهاتها كانت مثيرة ومنتشرة في عصرها إلا أنها سرعان ما خبت ولم يعد لها قبول عند علماء الأنثربولوجيا؛ لما فيها من مغالاة في تبسيط المعادلة التاريخية، وميل شديد للحدس والتأملية مما يستحيل معه أن نجد للحقائق التاريخية أمكنتها المناسبة في هذه المخططات التاريخية.(٢)

---

(١) ينظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٢/٢١٤).

(٢) ينظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج (٣٩٩).

المبحث الثالث

نقد موقف الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة من أهمية النبوة والحاجة لها.

إن الحاجة للنبوة وأهميتها تعود لغايتها العظمى ومهمتها الجليلة في كونها خبرًا عن الله ووساطة بينه سبحانه وبين خلقه، مرادها تعريف الخلق بخالقهم تبارك وتعالى وبأسمائه وصفاته وبيان سبب خلقهم وإيجادهم في هذا الكون، وغايتها توضيح طريق الوصول إلى مرضاة الله وتحقيق السعادة والفلاح؛ بتعليمهم ما يتحقق به صلاح أمرهم ونفعهم في معاشهم ومعادهم، كالإيمان والتوحيد والعدل والبر وغيرها، مما لا يمكن معرفته إلا من طريق الإخبار عن الله، ولا سبيل إلى تحقيقه إلا من جهة الرسل، ولا يهتدي العقل إلى معرفة تفاصيله وحقائقه، ولا يمكنه الاستقلال بنفسه للاهتداء إليه، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إلى بعضه من حيث الجملة، وليس مرادها التمييز بين الضار والنافع بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات العجم، وبذلك يتبين أن النبوة وبعثة الرسل ضرورة ملحة للبشر وحاجة ماسة يرتكز عليها صلاح أمر الدين والدنيا.(١)

وهذا الأمر من أهم ما يجب الإقرار به واستحضاره من المؤمنين بالنبوة والأنبياء، وهذا منشأ الخلل عند الفلاسفة، ومن قصور تصورهم لمعنى النبوة وأهميتها، وعدم فهمهم لغايتها، أو إنكارهم لذلك، وظنهم بأن ما جاء به الأنبياء مما يمكن الاهتداء إليه بالجهد والبذل من خلال العقل أو العلم أو غيره فقد استبدلوا النبوة بما لا يمكن أن يحقق شيئًا من غاياتها وأهدافها،

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/٢، ١١٦-١١٧).

مما نتج عن النزوع إلى المعاني الدنيوية والفردية والمادية وضعف الاهتمام بالدين الذي غلب على عموم تيارات الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة؛ كما هو بيّن من النماذج المطروحة في المبحث السابق، وفيما سبق عرضه في المطلب الأول بيان لضرورة النبوة ورد مجمل على إنكارهم الحاجة لها، وفيما يلي نقد لمجمل الإشكالات والشبهات المثارة حول البدائل المزعومة للنبوة والوحي عندهم.

المسألة الأولى: العقل وقدرته على الدلالة على الحقائق الدينية.

إن القول بقدرة العقل وكفايته لمعرفة الخالق والحقائق الدينية في الفلسفة الغربية سار في اتجاهين أساسيين متناقضين : الأول: هو القول بكفاية العقل للدلالة على الحقائق الدينية وغيرها، وهو القول الأكثر شيوعاً في هذه المسألة خلال الفترة الحديثة من الفلسفة الغربية، وهو غالب على الربوبيين كما ذُكر في المبحث السابق، وإن كان بعض القائلين به من المؤمنين بالنبوات يرى للنبوة حاجة وفوائد؛ ولكنهم لا يرون لها حاجة تستقل بها؛ بل يعدونها كالعلاج لما قد يطرأ للعقل من خلل، كالقول بأن بعض الناس له حاجة بالنبوة لنقص نباهته وقدرة عقله على استحضار هذه المعاني بنفسه، أو حاجة نفسه لها، كما عند جون لوك وسبينوزا وهوبز، وكالقول بأنها حافز للأخلاق مع قولهم بأن العقل قادر على الاستقلال بتأسيس الأخلاق، كما عند جون لوك وكلارك وبعض الربوبيين وغيرهم، وهؤلاء لا يختلفون عن المنكرين للحاجة أصلاً، فهذه الاستثناءات لا تغير شيئًا من حقيقة موقفهم المنكر لضرورة النبوة والحاجة لها، حيث إن الإيمان بالنبوة لابد أن ينشأ عن يقين بأنها حاجة ضرورية لجميع البشر لا يمكن لأحد الاستغناء عنها بعقله كما تبين، وإلا لم يكن لاتباعها ولا الالتزام بمضمونها فائدة.

كما أن هذا القول بكفاية العقل مناقض لما يعرفه الناس من واقعهم من اختلاف العقول بين الناس وتناقض مذاهبهم وأهوائهم؛ ومنهم العلماء والفلاسفة ممن يتبعون مناهج عقلية صارمة فضلاً عن غيرهم، وهو ما كان ظاهراً بيناً في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، نتيجةً لتقديس العقل والاحتكام إليه في الاستدلال على كل الحقائق، وهذا الاختلاف مما يحتاج معه إلى حاكم على هذه العقول يفصل بينها، ويبين الحق لمجموعها، ممن يملك هذا الحق، وهذا مما بعث الله الأنبياء له ليقيموا الحق ويفصلوا بين الناس بالشرائع، فإن العقول ربما استكبرت عن موافقة الأكفاء ومتابعة النظراء، فلم يجمعهم على الحق إلا طاعة المعبود فيما أداه رسله فصارت المصالح بهم أعم، والإتقان بهم أتم، والشمل بهم أجمع، والتنازع بهم أمنع.(١)

ومن الظاهر كذلك ضعف كثير من هذه العقول عن فهم كثير من الأمور المشاهدة في الكون وتعارضها في ذلك، فضلاً عن إدراك الغيبيات فلا يكادون يتفقون فيها إلا على القليل من الأصول المجملة، فإن العقول وإن اهتدت منها إلى الحقائق الكبرى والظاهرة مما يمكن لها الاستدلال عليه كوجود الخالق ووجوب النبوات ومجمل تفضيل الخير ومحاسن الأخلاق وذم الشر ومساوئ الأخلاق، فإنها لا تهتدي لما يقع خارج قدرتها مما يتعلق بذلك من علوم مفصلة، والنبوة وإن كانت لا تخالف ما تقرره العقول السليمة في ذلك إلا أن محتواها ليس مما يمكن للعقل الوصول إليه بنفسه دون هداية من خارجه، "فالحاجة إلى الرسل ضرورية بل هي فوق كل حاجة فليس العالم إلى شيء أحوج منهم إلى المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ولهذا يُذكّر سبحانه عباده نعمه عليهم برسوله ويعد ذلك عليهم من أعظم المنن منه

---

(١) ينظر: أعلام النبوة، أبو الحسن الماوردي (١٥، ٢٠، ٢٢).

لشدة حاجتهم إليه ولتوقف مصالحهم الجزئية والكلية عليه وأنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا قيام إلا بالرسل فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال وقبحها فمن أين له معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته والآية التي تعرف بها الله إلى عباده على ألسنة رسله، ومن أين له معرفة تفاصيل شرعه ودينه الذي شرعه لعباده، ومن أين له تفاصيل مواقع محبته ورضاه وسخطه وكراهته، ومن أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه وما أعد لأوليائه وما أعد لأعدائه، ومقادير الثواب والعقاب وكيفيتهما ودرجاتهما، ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحداً من خلقه إلا من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله وليس في العقل طريق إلى معرفته فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال و قبحها بالعقل مغنياً عما جاءت به الرسل"[١].

وأما ما زعمه الربوبيون من كفاية العقل للدلالة على الخالق فإن هذا الزعم عندهم ناشئ عن تناقض مذهبهم وقصور تصورهم عن الإله وعن العقل، حيث إنهم وإن ادعوا الإيمان بخالق متصف بالكمال فإن تصورهم يتضمن في حقيقته إلهًا لا يتصف بصفات الكمال في حكمته ورحمته وعدله، حيث أنكروا تدبيره للكون وعنايته به بعد أن خلقه وأتقنه وكمله، حيث يرونه وكأنه صانع ساعة لا علاقة له بها بعد أن أتقنها وأحكم صنعها، مستندين على كمال الخلق وقدرة العقل في الدلالة على عدم الحاجة للنبوة، وعلى وجود الشرور في الكون للدلالة على أنه لا تَدَخّل للخالق فيه، وهذا الاعتقاد متناقض لا يصمد عند النظر البسيط.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم (٢/١١٧-١١٨).

وتصورهم هذا تصور سلبي وحكم على الخالق بالظلم والشح على الخلق بتعريفهم به والاستمتاع بحيرتهم وتيههم عن معرفة مراده، فالإيمان بخالق كامل قادر حكيم عادل لابد وأن يؤدي إلى استدلال العقل إلى لزوم طريق للاتصال به وتعريف مراده لخلقه ولا طريق إلا طريق النبوة، وإلا ناقَض حكمته وعدله.

كما أن إنكار كمال صفات الخالق هو حكم على العقل الذي قد اغتروا بقدرته بعدم الثقة، حيث إن الخالق الذي لا يتصف بالعلم والعدل والحكمة والرحمة ولا يبالي بقيم الخير والحق لا يمتنع أن يخلق عقولاً لا تهتدي إلى الصواب وتقيم فكرها على مبادئ أولية فاسدة، فلا سبيل للثقة بالعقل إلا بالثقة بخالقه.(١)

فهذا الزعم بالإيمان بالخالق مع عدم الحاجة للنبوة عند الربوبيين مستحيل التحقق، وهو نتاج كفرهم بالنصرانية، واعتقادهم بعدم الحاجة لها، والذي أدى إلى الكفر بكل الأديان والنبوات؛ حيث استدلوا بفسادها على فساد كل دين احتكاماً إلى الجهل وتعالياً عن البحث عن الحق في غيرهم.(٢)

وما قيل للربوبيين من عدم كفاية العقل لمعرفة الحقائق يقال للملحدين فلا ضمانة لديهم لصدق العقل حيث إن غالبهم من القائلين بنظرية التطور الداروينى التي ترى "الدماغ مادة ناجمة في تركيبها ووظيفتها عن حاجة الإنسان إلى تحقيق البقاء ومقاومة عوامل الانقراض؛ ولذلك لا يوثق في العقل لإصابة الحقيقة، لأن الدماغ عندهم لم يجهز لمعرفة حقيقة الواقع،

---

(١) ينظر: براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، د. سامي عامري (٣١-٣٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣٢-٣٣).

وإنما تطور ليضمن الحفاظ على حظوظ الأكل والشرب والمأوى والتكاثر"[١]، ولذا فلا قيمة لقولهم بكفاية العقل للوصول للحقائق وضمان معرفة الخير مع الإيمان بالتطور.

الاتجاه الثاني: عندما شاع في الغرب الحديث الغلو في تقديس العقل والقول بكفايته لبلوغ الحقائق ومعرفة الخالق ظهر عن ذلك الكثير من الإشكالات والآثار المدمرة مما جعل عددًا من الفلاسفة ينحو في الاتجاه المعاكس فينكر قدرة العقل على الوصول إلى معرفة الخالق والحقائق الدينية بل ويغلو بعضهم بإنكار كامل قدرة العقل على الوصول إلى عموم الحقائق، أو الاستدلال على الغيبيات والمشاهدات ويجعل التجربة الحسية أو الحدس مكانه، أو يصل إلى الشك بكل معرفة، ومن ذلك:

الفلاسفة المدافعون عن المسيحية الذين ذهبوا إلى عدم قدرة العقل على الاستدلال على حقائق الأديان، والقول بأن هذه المعارف لها ما يدل عليها من غير طريق العقل كالمعجزات أو التنبؤات، كما عند باسكال وهذه الدعوى بالاستغناء الكامل عن العقل للاستدلال على النبوة والأديان هي محاولة لتثبيت النصرانية التي شابها الكثير من التحريفات وتسللت إليها العديد من العقائد المناقضة للعقل؛ أما دلائل الإسلام ونبوة محمد ‘ حيث قد حفظت من التحريف، فلا يوجد فيها ما يخالف العقل الصريح أو يعارضه، وإن كان فيها ما يحيره ولا يستطيع الوصول إليه، فالعقل موافق لأصولها وفروعها ودلائلها، مثبتٌ الحاجة إليها، ولذا قال بعض الأعراب وقد سئل: بماذا عرفت أنّ محمدًا رسولُ الله فقال: "ما أمر بشيء فقال العقل ليته نهى عنه ولا نهى عن شيء فقال العقل ليته أمر به".[٢]

---

(١) المرجع السابق (٣٥) بتصرف يسير.

(٢) ينظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم (١١٧/٢).

والقول في القدح في العقل قد برز خلال القرن الثامن عشر من خلال اتجاهات متعددة كما قد مر في الفصل السابق، وقد أظهرت هذه الاتجاهات الاعتقاد بعدم قدرة العقل على الاستقلال بمعرفة شيء خارج الحس أو الاستدلال عليه، ومنها من شك في كل معارفه وأنكر مبادئه الأولية، وجامع هذه الاتجاهات كلها عدم الثقة في العقل، والتقليل من قدرته على المعرفة، وهو غلو معاكس للغلو في تقديس العقل في الفلسفة الحديثة.

وكلا الاتجاهين على خطأ بيّن فحكم العقل لا يُقبل جملة في كل شيء، ولا يُرد جملة في كل شيء، فالعقل آلة الفهم، ومناط التكليف، به فُضل الإنسان على البهائم، وهو محل الحكم والفهم فيما يدخل في مجال قدرته، "فإذا استَعملت العقول أفكارها فيما هو في طورها وحدها ووفت النظر حقه أصابت بإذن الله تعالى، وإذا سلطت الأفكار على ما هو خارج عن طورها ووراء حدها الذي حده الله لها ركبت متن عمياء، وخبطت خبط عشواء، فلم يثبت لها قدم ولم تركن إلى أمر تطمئن إليه... فإن تسليط الفكر على ما هو خارج عن حده تعب بلا فائدة ونصب من غير عائدة وطمع في غير مطمع وكد في غير منجع"(١) وقد بيّن ذلك القرطبي ــ رحمه الله ــ بقوله : "والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله، ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله، إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب، فمثال الشرع الشمس، ومثال العقل العين، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء"(٢).

---

(١) لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني (١٠٥/١).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٢٥٥/١٠).

ومن هذه الاتجاهات المعارضة للعقل مذهب جان جاك روسو الذي كان ربوبياً ولكنه عارض الربوبية في استدلالهم بالعقل وقولهم بكفايته للدلالة على الخالق والحقائق، واتخذ اتجاهًا آخر في القول بكفاية الضمير أو الوجدان، الذي عبر عنه بقوله: "ما اطمأن إليه قلبي من دون تردد اعتبرته حقيقة بدهية"(١) وقوله: "لو اكتفوا بما أملاه الخالق على قلب كل فرد لما وجد على الأرض سوى دىن واحد"(٢)ودعواه هذ مع عدم وضوح مراده منها، وعدم وجود ضابط لها، فهي دون القول بكفاية العقل وينطبق عليها ما قيل في الرد على من رأى كفاية العقل، بل للعقل مبادئه الحاكمة ومنطلقاته المتفق عليها مما ليس له مماثل فيما وصفه روسو بالوجدان أو الضمير، مما لا يجعل له قيمة حتى فيما يمكن للعقل معرفته والوصول إليه، كما أن الواقع يكذبه فقلوب البشر تتخطفها الأهواء والوساوس والنزعات، فلا تتماثل أو تتشابه ولا حاكم لها أو ضابطًا، مما لا يمكن معه تحقيق مراده من اتباع اطمئنان القلب وحده، بل لابد من ضابط من خارجه يحكمه ويرده إلى الصواب.

المسألة الثانية: القول بأن الحاجة لبعثة الرسل مناقض لكمال الخالق وعدله.

لقد أثار الربوبيون عدة شبهات حول الحاجة للنبوة والوحي، بدعوى أن الحاجة لبعثة الرسل مناقض لكمال الخالق وعدله، ساعين إلى نقضها وإنكارها، وهذه الإشكالات في مجملها ناشئة عن بناء تصوراتهم عن الخالق بالقياس على ذواتهم القاصرة، وجعلها بعلومها وفهمها وإحساساتها المحدودة القاصرة معياراً للحكم على فعله -سبحانه-، دون اعتبار لحقيقة قدرة البشر وعجزهم عن الإحاطة بمصالحهم الخاصة فضلاً عما يفوق ذلك.

---

(١) دين الفطرة، جان جاك روسو (٣١).

(٢) المرجع السابق (٩٠).

ومن أبرز هذه الشبهات: القول بأن اصطفاء الخالق لبعض البشر ليهبهم العلم به ويدع الجميع من دونهم عرضة للخطأ والزلل نتيجة لعوائق البحث والتفكير حول صدق الأنبياء مخالف لكمال الخالق وعدله، وأن العدل في وصول الرسالة دون وساطة أو خفاء، ودون انحياز لبعض البشر دون الآخرين، وهذا الاعتراض قد صدر عن إغفال غاية النبوة، وحقيقة الاختبار، والظن بأن كمال عدل الله يقتضي منع الخلق من الخطأ، وإلزامهم طريق التقوى دون عناء، ويرد على ذلك بعدة أمور:

- إن النبوة ليست فعلاً خالياً من الغاية مجرداً عن الحكمة والعدل، وإنما يجتبي الله من البشر أصفياءه، وهم النخبة الذين زكت نفوسهم، وعقولهم، وقلوبهم، وهو يعلم دخيلة النفوس، وأفعال الجوارح، وما كان منهم وما يكون، وهذا فضل من الله لهم لا يترتب عليه ما ينافي العدل، ولا يرفع عنهم التكليف والابتلاء والامتحان.
- أن بذل الوحي لكل البشر ليس من أفعال الحكمة؛ إذ أن الله خلق البشر للعبادة وجعل التكليف بها وتحقيقها القائم على التصديق والعمل هو الطريق إلى تحقيق رضاه وجنته، وأصل التصديق الإيمان بما جاء به الخبر القابل للتكذيب؛ وهذا يستلزم حرية القصد والإرادة عند المكلف فلو أن الناس ألزموا بالتصديق إكراهاً بما يرونه من وحي يتنزل عليهم لانتفى الاختبار والابتلاء، واستوى الناس في مقام التصديق دون اختيار منهم.
- أن الله حين منع الوحي عن غير الأنبياء فإنه جعل البشر مشتركين في دلالة العقل والحس على الحقائق، وبه يستدلون على وجود خالق، مصور، منعم، واجب الوجود، والإنسان لا يحاسب على

أصل إيمانه الفطري وحده، وإنما يحاسب على فعله في الدنيا بعد أن تبلغه الحجة الرسولية عن طريق نبي أو رسول.

- إن معنى العدل لا يقتضي وجود خلق بلا إرادة حرة، بل هو ألا يعذب الإله من لم يعص، وأن يرفع الصالحين فوق من ضل عن طريق الحق؛ فالجزاء رهين أفعال العباد، فالإنسان إذا امتلك عقلاً، وإرادة حرة، وقدرة على الفعل، وبلغه خبر النبي، لزمه تصديق النبي فيما أخبر، والعمل بما جاء به وشرع، وإذا قصر في ذلك فهو مذنب، وإنزال الوعيد به هو عين العدل إلا أن يعفو عنه الخالق، ويكرمه بفضله.(١)

ومن الشبهات المثارة حول قولهم بأن الحاجة للنبوة مخالفة لكمال الخالق وعدله: القول بأن بقاء البشر لفترات من الزمن بدون أنبياء مع حاجتهم لهم ظلم يستلزم نسبة النقص إلى الخالق، وأن انقطاع النبوة يعني انتفاء الحاجة لها، فلو كان لها حاجة لبقيت.

وهذا القول دعوى لا دليل عليها ولا يسلِّم بها أهل الإسلام، فأما بقاء البشر فترات دون أنبياء فهو مردود بإخبار الله سبحانه أنه قد تكفل بإرسال الرسل لكل الأمم وأن آثار النبوة لم تنقطع عن البشر، قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) [سورة النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر:٢٤]، بل حتى زمن الفترة بين الأنبياء لا تدرس فيه أصول دين المرسلين، بل يبقى فيها من

---

(١) ينظر: براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، د. سامي عامري (٣٢-٣٥)، وظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان العميري (٣٢٩/٢-٣٣٣).

الدعاة من تقوم به الحجة[١]، وهذا ظاهر في قريش حين بعثة النبي ﷺ فمع كونهم من أشد الناس شركاً وجهلاً وتبديلاً وتكذيباً بالمعاد، ومن أبعد الأمم عن توحيد الله، إلا أنه كان فيهم حنفاء على ملة إبراهيم ؑ، وكان منهم من يعرفون أديان الأنبياء السابقين وكتبهم.

أما القول بأن توقف النبوة يعني انتفاء الحاجة لها فهذه الشبهة كسابقاتها ناشئة عن عدم فهم مراد النبوة وغايتها، فإن غاية النبوة تحقيق تعريف الخلق بالله –سبحانه وتعالى–، وتبليغهم بطريق التعبد له، وإقامة البراهين الدالة على ذلك، فليست النبوة خاصة بوقت نزولها؛ بل إذا بقيت دلائلها وحُفظت شرائعها فقد تحققت الغاية من النبوة، وهو ما تحقق ببعثة محمد ﷺ فقد حفظ الله وحيه الذي أنزله عليه، وسيرته، وشرائع دينه، ودلائل نبوته، فبقيت آثاره متواترة شاهدة لما بُعث به، حافظة لرسالة الخالق للبشر.[٢]

المسألة الثالثة: القول بكفاية العلم التجريبي.

وهذا القول مبني على الاعتقاد بأن العلم التجريبي قادر على معرفة الحقائق، وحفظ حاجات البشر، وتجاوز الخوف من المجهول، وعلى القول إن أي معرفة ممكن الحصول عليها يجب أن تتحصل عبر الطرق التجريبية، ومالا يمكن للعلم اكتشافه لا يمكن للإنسان معرفته، مما يغني عن النبوة ويؤدي إلى عدم الحاجة للأديان أصلاً، وهو قول عامة الفلاسفة المعاصرين من الماديين الملحدين، وهو قول ظاهر البطلان، فقد أغفل هؤلاء عدة أمور ينبغي أن يبنى عليها التعامل مع العلم التجريبي، ومنها:

- أن العلم التجريبي له مجال محدود لا يمكنه تجاوزه، فهو يتعامل مع العالم الحسي الذي يستطيع ملاحظته وقياسه، وليست الحاجة للنبوة في مثل هذا المجال.

---

(١) ينظر: جامع المسائل، ابن تيمية، جمع وتحقيق: محمد عزيز شمس (٥/٥٢).

(٢) ينظر: ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، سلطان العميري (٢/٣٣٧-٣٣٩).

- قصور العلم عن بلوغ كثير من خفايا الكون المشاهدة فضلاً عن الغيب، وتغير موقفه منها بحسب تطور ملاحظته ورصده لها.
- عدم قدرة العلم التجريبي على إصلاح كثير من مناحي الحياة الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية مما لا يدخل ضمن مجاله، فضلاً عن أن يكون قادراً عن إصلاح ما فوق ذلك.[١]

وبناء على ذلك فلا وجه للقول بالاستغناء بالعلم عن الخالق والاتصال به من خلال النبوة والوحي، فالعلم التجريبي عبارة عن آلة محدودة متغيرة بتغير أدواتها وآلاتها، ولا يمكن له مجاوزة ذلك، وهو تابع للحس والعقل ولا يمكنه أن يمتلك من الحقائق إلا ما يمكن للحس والعقل الوصول إليه، بل قد اعترف بعض الفلاسفة بتعارض القول بأن العلم موصل للحقائق مع الأصول المشهورة والمسلم بها عند عدد كثير من التجريبيين، فيقول الفيلسوف الملحد جون غراي في ذلك: "مذهب الإنسانية الحديثة هو إيمان أنه عبر العلم بإمكان البشرية أن تعرف الحقيقة، وبالتالي أن تكون حرة، ولكن إذا كانت نظرية داروين في الانتخاب الطبيعي صحيحة، فإن ذلك سيكون محالاً. العقل البشري يخدم نجاحاً تطورياً لا بلوغ الحقيقة"[٢]، وهذه النظرية يسلّم بها كثير من الفلاسفة القائلين بكفاية العلم.

كما أن هذا القول مبني على دعوى إمكان الاستغناء عن معرفة الخالق وعدم الحاجة للتعبد له أصلاً، وهي مقدمة باطلة في نفسها، كما سبق بيانه، فحاجة الإنسان للتعبد لله –سبحانه وتعالى– أمر مركوز في فطرته لا يمكنه أن ينفك

---

(١) يراجع: أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، جمع وتعليق: أحمد حسن (٦٥–٧٧).

(٢) براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، سامي عامري (٣٥)، نقلاً عن John Gray, Straw Dogs (London, Granta Books, 2002), p.26.

عنه، وهو ضرورة من ضرورات حياته الأساسية، ولذلك فإن الاقتصار على العلم التجريبي يؤدي إلى الانحراف بالإنسان عن فطرته وطبيعته، والإخلال بأشد حاجاته ضرورة وأهمية.

المسألة الرابعة: القول بالتطور التاريخي وأثره في الاستغناء عن النبوة.

إن القول بالتطور التاريخي للفكر، واحتواء العقل المستنير في ثناياه على تجربة العصور السابقة، وتعبيره عن التاريخ كله بتراكم علومه ومعارفه وفنونه، والقول بأن هذا التقدم قد أسفر عن استغناء الإنسان بنفسه، وعقله، وعلمه عن أي مصدر خارج الطبيعة ابتداءً من النبوة والوحي وحتى وجود الخالق وعنايته، هو في حقيقته اغترار بقدرات الإنسان المعاصر، ودعوى لا دليل عليها، وهي لا تختلف عن القول بكفاية العقل أو كفاية العلم، إلا في كونها محاولة أكثر تسطيحًا وتبسيطًا لحل الصراع الدائر بين الوحي والفلسفة أو بين الأديان والإلحاد، وذلك من خلال تبرير الاعتقاد الديني القديم في محاولة لتنحيته بطريقة أقل حدة من الرفض الكامل الصريح، مع كونها لا تقبله في عصرها الحاضر على أية حال، وهي تقوم على افتراض أن الوحي وجد سداً لحاجة الإنسان في مرحلة معينة، وكان هدفه تهيئة عقل الإنسان ليستطيع معرفة ما يحتاجه ومن ثم انتفت الحاجة له بحصول التقدم وتطور العقول والعلوم عبر التاريخ، ومع ما تقدم من بيان عدم كفاية العقل والعلم عن الحاجة للنبوة، فإن هذا الافتراض يتبين خطأه وسقوط حجته لأمور:

- أن هذه النظرية في جميع صورها قائمة على افتراضات لا دليل عليها، ولا مستند لها، فمن أين بنوا نظرياتهم لعصور المراحل الأولى القديمة جداً، وما الذي يثبت دعوى عدم حصول هذا التقدم

سابقاً، وما الذي يضمن استمرار التقدم العقلي والعلمي فقد ينتكس ذلك كله ويعود الجهل فلا ضمان لبقاء الاستنارة والعلم المدعى.

- أن غالب هذه النظريات قائمة على أساس أن كل صور اللاهوت والوحي، ناتجة عن الفكر الإنساني، وهو ادعاء باطل في أصله، فالأدلة قائمة في إثبات النبوة والوحي الصادق المنزل من عند الله -سبحانه وتعالى-، كما أن إقامتها كذلك على أساس التصور المحرف لليهودية والنصرانية الذي يعتقده النصارى، واعتبار النصرانية تطور عن اليهودية هو دعوى باطلة كذلك لا تسلم لهم، فهذه الأديان لم تبقَ على أصلها الذي أنزلها الله عليه بل قد ثبت تحريفها وضياع كتبها المنزلة، وأنها لم تعد باقية على ما أنزلها الله عليه، وعليه فلا يبنى عليها شيء.
- أن التقدم العلمي والتطور العقلي لا يمكن أن يجاوز الحس والكون المشاهد ولا أن يطلع على الغيب، فلا يمكنه تحقيق حاجة الإنسان للاتصال بالخالق وعبادته وهي حاجة دائمة متأصلة في فطرته، ولا طريق لها إلا الطريق الذي يشرعه الخالق وهو النبوة والوحي.

ومع أن هذه النظريات قد تعددت وشاعت إلا أنها سرعان ما خبت ولم يعد لها قبول عند علماء الأنثربولوجيا؛ لما فيها من مغالاة في تبسيط المعادلة التاريخية، وميل شديد للحدس والتأملية مما يستحيل معه إثباتها تاريخياً[(١)]، إلا أنها قد لاقت قبولاً وإعجاباً من المفكرين الحداثيين العرب، وتبناها عدد منهم، في محاولة لدمج الإسلام في دعوى التطور المزعوم سعياً لتجاوز

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ص (٣٩٩).

الوحي وإقصاءه والاستغناء عنه، ومن أبرز من سعى لذلك حسن حنفي الذي تأثر بلسنج ضمن من تأثر بهم من فلاسفة التنوير، واعتنى به عناية خاصة فترجم كتابه تربية الجنس البشري، وذكر أن نظريته في التطور التاريخي للدين تعبر عما في نفسه، وقد وصفه بأنه "جمع كل مكتسبات العصور الحديثة في تصوره لدين الروح، وهو دين العقل، ودين الطبيعة، ودين العمل، وليس دين الأسرار أو الطقوس أو الكنائس"[١]، وقد قام بتعديل ليدخل الإسلام ضمن نظريته، وجعله مرادفاً لما وصفه بأنه مرحلة استقلال الوعي الإنساني عقلاً وإرادة حيث تكتمل النبوة، فتتحقق غاية الوحي في التاريخ ويحصل التنوير، وهذه المرحلة تعني عنده أن الوعي الإنساني قد نضج وكمل وأصبح قادراً بعقله على الوصول إلى الحقيقة، فلا يحتاج إلى إله يتدخل في حياته يهديه أو يضله، ولا يحتاج معه إلى الإيمان بقدرة خالق تتدخل في حريته وتسيطر عليها، أو وحي يوجه، ولا إلى نبوة تهديه.[٢]

المسألة الخامسة: الإقرار بالحاجة الفطرية للتدين.

مع ظهور الإلحاد وانتشار القول بإنكار وجود الله والاستغناء بالعقل والعلم الحديث، وعدم الحاجة للنبوة والوحي، والإغراق في المادية، لم تستطع جميع هذه الفلسفات إنكار الحاجة الفطرية في النفس للتعبد للخالق والالتجاء إليه، فبرز قول مختلف بتبرير التدين كحاجة للإنسان يحقق بها رغبة النفس بالالتجاء إلى ما يحقق اطمئنانها أو يغذي الجانب الروحي فيها، وهذا القول مع أنه لم يوصل إلى الإيمان بالله والاعتراف بالنبوات في الفلسفة الغربية

---

(١) تربية الجنس البشري، لسنج، ترجمة وتقديم وتعليق: د. حسن حنفي (٨٧).

(٢) ينظر: منهج حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، د. فهد القرشي (٢٩٠-٢٩١)، وهموم الفكر والوطن، حسن حنفي (٢/٦٣١-٦٣٢)، ومن العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي (١/٢٩٤).

ولكنه يبرز مخالفتها للفطرة وتخبطها وفقدها للاطمئنان الإيماني، وعدم استقرار اعتقادها بإنكار الخالق والأديان، وقد قال عدد كبير من الفلاسفة خلال القرون الحديثة بالحاجة للتدين مع اختلاف اتجاهاتهم ومنطلقاتهم وبروز الإلحاد في أفكار عدد منهم، وممن قال بذلك:

ليبنتز: وهو مع قوله بالدين الطبيعي، فإنه لا ينكر الحاجة للتدين، فيرى أن الأديان الوضعية تقليد للتقوى الحقة مفيدة للجمهور، وأن طقوسها تقليد للأفعال الفاضلة، وعقائدها ظل الحقيقة، وبالرغم من هذا النقص، هي ممدوحة إذا عاونت على الارتفاع من الحياة الحسية إلى الحياة الروحية، ومذمومة إذا صرفت عن هذه الغاية، ويجعل المسيحية من هذه الأديان.(١)

هنري برجسون: الذي يقف قريباً من القول بوحدة الوجود يرى أهمية التجربة الدينية الصوفية للتعرف على الإله، وتحقيق التطور الروحي ونشر الحب والعدالة وأن لها أثراً كبيراً في تأمين النفس بالراحة والطمأنينة التي حققها كبار الصوفية من النصارى، ويقول: "أن الإنسانية لم تستغن يوماً عن الدين" وهو هنا وإن كان يفسر الدين بمحاولة النفس حماية نفسها وتحقيق الطمأنينة من الأخطار في المجتمعات البدائية وغيرها إلا أنه في ثنايا كلامه اعتراف بضرورة التدين في النفس الإنسانية.(٢)

وليم جيمس رائد البراجماتية (١٨٤٢-١٩١٥): فمع إلحاده واعتقاده بأنه ليس هناك دليل منطقي حاضر على وجود الله، إلا أنه كان مؤمناً بالحاجة للتجربة الدينية، ويرى أنها تجربة أغنى وأعمق من التجربة العلمية، وأن

---

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم (١٢٥-١٢٨).

(٢) منبعا الأخلاق والدين، هنري برجسون (١٢٠)، وينظر: منه (١٣٥، ٢٦٧). والفلسفة الغربية المعاصرة، تأليف: مجموعة من الأكاديمين العرب، بإشراف: د. علي المحمداوي (١٧٩-١٨٠).

لها أثراً بالضرورة، وأن الإنسان له الحق بأن يؤمن بإله، وأن الناس في وسعهم أن يؤمنوا بأمور لأسباب عاطفية، بالرغم من انتفاء الدليل العقلي عليها، ويرى أن التجربة الدينية وإن كانت تتجاوز النوع المألوف من التجارب، وهي التجارب الحسية ومعطياتها، لكنها مع ذلك تجربة ويطبق عليها المنهج المتبع مع غيرها من التجارب أي فكرة الفائدة أو المنفعة العملية المترتبة عليها، فإن كانت تقدم لنفوسنا الطمأنينة والسعادة والسلام فينبغي أن نعدها صحيحة تبعاً لكونها تحقق منفعة وفائدة.(١)

---

(١) ينظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي (٤٤٩/١-٤٥٠). البراجماتية، وليم جيمس (١٧٨، ٣٤٧-٣٤٨)، تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم (٣٧٨-٣٧٩).

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله أن يسر لي إتمام هذا البحث، وأسأل الله أن ينفع به، وفيما يلي أبرز النتائج:

- أن أهمية النبوة والحاجة لها ترجع في الأصل إلى غايتها العظمى وهي تعريف الخلق بالخالق جل وعلا، وتحقيق الإيمان بربوبيته، وألوهيته، وصفات كماله وجلاله، وتبليغهم أمره ونهيه وبيان سبيل مرضاته، وطريق الوصول إليه سبحانه، وتحذيرهم من الضلال عن طريق الحق، وبيان المصالح الكلية التي يميَّز بها بين النافع والضار في المعاش والمعاد، وضبط ذلك بمعايير وموازين ثابتة، وكل ذلك مما لا يمكن معرفته إلا من طريق الإخبار عن الله، ولا سبيل إلى تحقيقه إلا من جهة الرسل، ولا يهتدي العقل إلى معرفة تفاصيله وحقائقه، ولا يمكنه الاستقلال بنفسه للاهتداء إليه، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إلى بعضه من حيث الجملة.
- أن مواقف الفلاسفة من الحاجة للنبوة مبنية على أصولهم الفلسفية ومواقفهم من الربوبية، ومنشأ الخلل عندهم هو قصور تصورهم لمعنى النبوة وأهميتها، وعدم فهمهم لغايتها، أو إنكارهم لذلك، وظنهم بأن ما جاء به الأنبياء مما يمكن الاهتداء إليه بالجهد والبذل من خلال العقل أو العلم أو غيره.
- غياب القول بأهمية النبوة والوحي لتبليغ رسالة الخالق وتحقيق التعبد له، عند غالب الفلاسفة القائلين بأهمية النبوة، وقصرهم ضرورة النبوة والوحي والحاجة لها لتحفيز الأخلاق، والدلالة عليها.
- ظهور القول بعدم الحاجة للنبوة عند الفلاسفة النقاد في القرن السابع عشر، وتفشيه في الفلسفة الغربية منذ بداية القرن الثامن عشر وما بعده، مع إقرار بعضهم بحاجة بعض الناس لها ممن يرون أنهم ليس لهم قدرة على إدراك الحقائق العقلية أو الأخلاقية أو تحقيق السعادة استناداً على دلالة العقل، وهؤلاء لا يختلفون عن المنكرين للحاجة

أصلاً، فهذه الاستثناءات لا تغير شيئًا من حقيقــة مــوقفهم المنكــر لضرورة النبوة والحاجة لها، حيث إنّ الإيمان بالنبوة لابد أن ينشــأ عن يقين بأنها حاجة ضرورية لجميع البشر لا يمكن لأحد الاستغناء عنها بعقله، وإلا لم يكن لاتباعها ولا الالتزام بمضمونها فائدة.

- أن المنكرين للحاجة للنبوة يختلفون في طريق الاستغناء عنها فمنهم من يرى الاستغناء بالعقل ومنهم من يرى الاستغناء بالعلم الطبيعــي والتجريبيات، ومنهم من يرى الاستغناء بالوجدان، ومنهم من يــرى أن البشر تطوروا حتى وصلوا إلى مرحلة اكتفــوا فيهــا بقــدراتهم العقلية والعلمية فلم يعودوا بحاجة للوحي.
- أن القول بكفاية العقل عن النبوة عند الفلاسفة ناشئ عــن قصــور تصورهم عن الإله وعن العقل وهو منــاقض للإيمــان بكمــال الله وربوبيته وهو مناقض كذلك لما يعرفه الناس من واقعهم من اختلاف العقول بين الناس وتناقض مذاهبهم وأهوائهم، وضعف كثيــر مــن العقول عن فهم كثير من الأمور المشاهدة في الكون وتعارضها فــي ذلك، فضلاً عن إدراك الغيبيات التي ليس إليها سبيل.
- أن القول بكفاية الوجدان دون القول بكفاية العقل وينطبق عليه مــا قيل في الرد على من رأى كفاية العقل، بل للعقل مبادئــه الحاكمــة ومنطلقاته المتفق عليها مما ليس له مماثل في الوجدان أو الضمير، مما لا يجعل له قيمة حتى فيما يمكن للعقل معرفته والوصول إليــه، كما أن الواقع يكذبه فقلوب البشر تتخطفهــا الأهــواء والوســاوس والنزعات، فلا تتماثل أو تتشابه ولا حاكم لها أو ضــابطًا، ممــا لا يمكن معه تحقيق مراده من اتباع اطمئنان القلب وحده، بل لابد مــن ضابط من خارجه يحكمه ويرده إلى الصواب.
- أن القول بمخالفة الحاجة للنبوة لكمال الله وعدله صادر عن إغفــال غاية النبوة، وحقيقة الاختبار، وهو ناتج عن تحكيم البشر لفهومهم المحدودة القاصرة وجعلها معياراً للحكم على فعله –ســبحانه، دون

اعتبار لحقيقة قدرة البشر وعجزهم عن الإحاطة بمصالحهم الخاصة فضلاً عما يفوق ذلك.

- أن القول بكفاية العلم التجريبي عن النبوة هو زج به في غير مجاله فالعلم التجريبي عبارة عن آلة محدودة متغيرة بتغير أدواتها وآلاتها، ولا يمكن له مجاوزة ذلك، وهو تابع للحس والعقل ولا يمكنه أن يمتلك من الحقائق إلا ما يمكن للحس والعقل الوصول إليه وليست الحاجة للنبوة لمثل هذا المجال.
- إن القول بالتطور التاريخي للفكر، واستغناء الإنسان بنفسه، وعقله، وعلمه بهذا التطور عن أي مصدر خارج الطبيعة ابتداءً من النبوة والوحي وحتى وجود الخالق وعنايته، هو في حقيقته اغترار بقدرات الإنسان المعاصر، ودعوى لا دليل عليها، وهي لا تختلف عن القول بكفاية العقل أو كفاية العلم، إلا في كونها محاولة أكثر تسطيحًا لحل الصراع الدائر بين الوحي والفلسفة بتبرير الاعتقاد الديني القديم في محاولة لتنحيته بطريقة أقل حدة من الرفض الكامل الصريح.
- مع ظهور الإلحاد وانتشار القول بإنكار وجود الله والاستغناء بالعقل والعلم الحديث، وعدم الحاجة للنبوة والوحي، والإغراق في المادية، لم تستطع جميع هذه الفلسفات إنكار الحاجة الفطرية في النفس للتعبد للخالق والالتجاء إليه، فظهرت محاولات لتبريرها عند عدد من الفلاسفة.

فهرس المراجع

١- الأصول والفروع، ابن حزم، تحقيق د. عاطف العراقي وآخرون، الناشر: دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٢- أعلام النبوة، أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣- أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، جمعه وعلق عليه: م. أحمد حسن، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ.

٤- البراجماتية، وليم جيمس، ترجمة: د.محمد العريان، نشر المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م، بدون رقم طبعة.

٥- براهين النبوة والرد على اعتراضات المستشرقين والمنصرين، د. سامي عامري، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج وآخرون، الناشر: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.

٧- تاريخ الفكر الأوربي الحديث، رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ.

٨- تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، غنار سكيربك، نلز غيلجي، ترجمة: د. حيدر حاج إسماعيل، نشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

٩- تاريخ الفلسفة، إميل برهييه، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠١٦م.

١٠- تاريخ الفلسفة، فردريك كوبلستون، ترجمة: سعيد توفيق ومحمود سيد أحمد وآخرون، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

١١- تاريخ الفلسفة الحديثة، وليم كلي رايت، ترجمة: محمود سيد أحمد، دار التنوير، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

١٢- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، نشر آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

١٣- تربية الجنس البشري، لسنج، ترجمة وتقديم وتعليق: د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

١٤- تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال، ترجمة: د. جورج طعمة، الناشر: دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م.

١٥- تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧.

١٦- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٧- الجامع لشعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، الناشر: الدار السلفية، بومباي- الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٨- جامع المسائل لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، نشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٩- الجذور اللاهوتية للحداثة، مايكل ألين جيلسبي، ترجمة: فيصل الفرهود، دار جداول للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٩م.

٢٠- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د. علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

٢١- جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، د. راوية عبد المنعم عباس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٢- حكمة الغرب، برتراند رسل، ترجمة: د. فؤاد زكريا، نشر عالم المعرفة، ١٩٨٣م.

٢٣- خواطر، بليز باسكال، ترجمة: أدوار البستاني، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٧م.

٢٤- دروس في الفلسفة، يوسف كرم، إبراهيم مدكور، نشر: عالم الأدب، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٢٥- الدين والعلم، برتراند رسل، ترجمة: رمسيس عوض، دار الهلال، بدون تاريخ طبعة.

٢٦- رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، ترجمة وتقديم: د. حسن حنفي، الناشر: دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٢٧- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٢٨- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة-١٩٩٠م.

٢٩- ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، د. سلطان العميري، مركز تكوين، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

٣٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، حقق بعناية: الشيخ عبد العزيز بن باز، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٧٩هـ، بدون رقم طبعة.

٣١- الفكر الأوروبي الحديث الاتصال والتغير في الأفكار، فرانكلين باومر، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.
٣٢- فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود قاسم، السيد محمد بدوي، مكتبة الإنجلو المصرية، بدون تاريخ طبع.
٣٣- الفلسفة الغربية المعاصرة "صناعة العقل الغربي من مركزية الحداثة إلى التشفير المزدوج"، تأليف: مجموعة من الأكاديمين العرب، بإشراف: د. علي المحمداوي، إصدار: الرابطة العربية الأكاديمية للفلسفة، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م.
٣٤- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، أ. م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني، نشر: عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.
٣٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٣٦- اللفياثان، الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة، توماس هوبز، ترجمة: ديانا حبيب حرب، بشرى صعب، تحقيق: رضوان السيد، الناشر: دار الفارابي، الطبعة الأولى ٢٠١١.
٣٧- لماذا لست مسيحياً، برتراند رسل، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.
٣٨- لوامع الأنوار البهية، وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، الناشر: مؤسسة الخافقين، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٣٩- ما الذي أؤمن به مقالات في الحرية والدين والعقلانية، برتراند رسل، ترجمة: د. عدي الزعبي، دار ممدوح عدوان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٥م.

٤٠- مجلة الدراسات العقدية، العدد الثامن، الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، المدينة المنورة.

٤١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، بدون رقم طبعة، ١٤٢٥ﻫ-٢٠٠٤م.

٤٢- مدخل إلى الفكر الفلسفي، جوزيف بوخينسكي، ترجمة: محمود حمدي زقزوق، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ﻫ-١٩٩٦م.

٤٣- المدخل إلى الفلسفة، أزفلد كولبة، ترجمة: أبو العلا عفيفي، دار عالم الأدب، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٤٤- مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، محمد مهران رشوان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٦- مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية، تصحيح ومراجعة: فكري أبو النصر، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، بدون بيانات طبع.

٤٧- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز.

٤٨- منبعا الأخلاق والدين، هنري برجسون، ترجمة: د. سامي الدروبي، د. عبد الله عبد الدايم، نشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.

٤٩- من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

٥٠- المنهاج في شعب الإيمان، لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٩هـ.

٥١- منهج حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، د. فهد القرشي، نشر مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ.

٥٢- موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

٥٣- النبوات، لشيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٥٤- هموم الفكر والوطن، حسن حنفي، دار قباء، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

faharas almarajie

1- al'usul walfuruea, aibn hazma, tahqiq du. eatif aleiraqii wakhrun, alnaashir: dar alnahdat alearabiati, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1978m.
2- 'aelam alnubuwwt, 'abu alhasan eali bin muhamad albasarii albaghdadiu, alshahir bialmawirdi, dar alkutub aleilmiati, bayrut, altabeat al'uwlaa, 1406h-1986m.
3- 'aqwaa brahin du. jun liniks fi tafnid mughalatat munkiri aldiyn, jameah waealaq ealayhi: mu. 'ahmad hasan, markaz dalayil, alriyad, altabeat al'uwlaa, 1437h.
4- albarajmatiati, wilym jims, tarjamatu: du.muhamad aleuryan, nashr almarkaz alqawmii liltarjamati, 2008m, bidun raqm tabeatin.
5- brahin alnubuat walradu ealaa aetiradat almustashriqin walmunsirini, du. sami eamri, takwin lildirasat wal'abhathi, altabeat al'uwlaa, 1439h-2018m.
6- taj alearus min jawahir alqamusa, lmhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, almlqqb bimurtadaa alzzabydy, tahqiqu: eabd alsataar 'ahmad fraj wakhrun, alnaashir: wizarat al'iirshad wal'anba' fi alkuayti, 1385h-1965m.
7- tarikh alfikr al'uwrubiyi alhadithi, runaldd sitrumbirji, tarjamatu: 'ahmad alshiybani, dar alqari alearabii, altabeat althaalithati, 1415h.
8- tarikh alfikr algharbii min alyunan alqadimat 'iilaa alqarn aleishrina, ghinar sikirbik, naliz ghilji, tarjamatu: du. haydar haj 'iismaeil, nashra: almunazamat alearabiat liltarjamati, bayrut, altabeat al'uwlaa, 2012m.

9- tarikh alfalsafati, 'iimil birhiihi, tarjamatu: jurj tarabishi, dar altalieati, bayrut- lubnan, altabeat althaalithati, 2016m.
10- tarikh alfalsafati, fridrik kublistun, tarjamatu: saeid twfiq wamahmud sayid 'ahmad wakhrun, almashrue alqawmiu liltarjamati, altabeat al'uwlaa, 2003m.
11- tarikh alfalsafat alhadithati, wilyam kuli rayit, tarjamatu: mahmud sayid 'ahmadu, dar altanwiri, altabeat al'uwlaa, 2010m.
12- tarikh alfalsafat alhadithati, yusif karam, nashr afaq lilnashr waltawzie, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 2016m.
13- tarbiat aljins albashari, lisinji, tarjamat wataqdim wataeliqi: du. hasan hanafay, dar altanwir, bayrut, altabeat althaaniatu, 2006m.
14- tikwin aleaql alhudithi, jun hirman randal, tarjamatu: du. jurj tiemat, alnaashir: dar althaqafati, bayrut, altabeat althaaniatu, 1966m.
15- tahdhib allughati, limuhamad bin 'ahmad al'azharii alhurui, tahqiqu: eabd alsalam harun wakhrun, alnaashir: aldaar almisriat liltaalif waltarjamati, altabeat al'uwlaa ،1967.
16- aljamie li'ahkam alqurani, li'abi eabd allah muhamad bin 'ahmad al'ansari alqurtubi, tahqiqu: eabdalrazaaq almahdi, alnaashir: dar alkutaab alearabi, bayrut, altabeat al'uwlaa, 1418h-1997m.
17- aljamie lishaeb al'iimani, li'abi bakr albayhaqi, tahqiq du. eabd aleali eabd alhamid hamid, alnaashir: aldaar alsalafiat, bumbay- alhinda, altabeat al'uwlaa, 1406h.

18- jamie almasayil liaibn taymiat, tahqiqi: muhamad eazir shams, 'iishraf: bikr bin eabd allah 'abu zida, nashra: dar ealam alfawayid lilnashr waltawzie, altabeat al'uwlaa, 1422h.

19- aljudhur allaahutiat lilhadathati, maykil 'alin jilisbi, tarjamatu: faysal alfirhudu, dar jadawil lilnashr waltawzie, altabeat al'uwlaa, 2019m.

20- aljawab alsahih liman badal din almasihi, lishaykh al'iislam 'ahmad bin eabd alhalim aibn taymiat, tahqiqi: da. ealiin bin hasan bin nasir wakhrun, dar alfadilat lilnashr waltawziei, alrayad, altabeat althaaniati, 1431h-2010m.

21- jun luk 'iimam alfalsafat altajribiati, du. rawyt eabd almuneim eabaasi, dar alnahdat alearabiati, birut, 1996m.

22- hikmat algharbi, birtrand rusul, tarjamati: du. fuaad zakiria, nashr ealam almaerifati, 1983m.

23- khawatiru, bliz baskal, tarjamatu: 'adwar albistani, allajnat allubnaniat litarjamat alrawayiei, bayrut, 197m.

24- drus fi alfalsafati, yusif karama, 'iibrahim madkur, nashira: ealim al'adbi, bayrut, altabeat al'uwlaa, 2016m.

25- alidiyn waleilma, birtrand rusulu, tarjamata: ramsis eawad, dar alhilali, bidun tarikh tabeatin.

26- risalat fi allaahut walsiyasati, sbinuza, tarjamat wataqdimu: du. hasan hanafay, alnaashir: dar altanwiri, bayrut, altabeat al'uwlaa, 2015m.

27- zad almuead fi hady khayr aleabadi, aibn alqiami, tahqiqu: shueayb al'arnawuwta, eabdalqadir al'arnawuwta, muasasat alrisalati, bayrut, altabeat alraabieati, 1424h-2003m.

28- alsahahi, li'iismaeil bin hamaad aljawhari, tahqiqu: 'ahmad eabd alghafur eatar, alnaashir: dar aleilm lilmalayini- bayrut, altabeat alraabieati-1990m.

29- zahirat naqd aldiyn fi alfikr algharbii alhadith, du. sultan aleumayri, markaz takwin, alsaeudiati, altabeat al'uwlaa, 1438h-2017m.

30- fath albari sharh sahih albukharii, liabn hajar aleasqalani, haqaq bieinayati: alshaykh eabd aleaziz bin bazi, maktabat alriyad alhadithati, 1379hu, bidun raqm tabeatin.

31- alfikr al'uwrubiyu alhadith aliaitisal waltaghayur fi al'afkar, franklin bawmar, tarjamatu: du. 'ahmad hamdi mahmud, manshurat alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, 1987m.

32- falsafat 'uwjist kunti, lifi bril, tarjamata: mahmud qasimi, alsayid muhamad badwi, maktabat al'iinjilu almisriati, bidun tarikh tabei.

33- alfalsafat algharbiat almueasira "sinaeat aleaql algharbii min markaziat alhadathat 'iilaa altashfir almuzdawji", talifu: majmueat min al'akadimayn alearibi, bi'iishrafi: da. eali almuhamadawi, 'iisdar: alraabitat alearabiat al'akadimiat lilfalsafati, altabeat al'uwlaa, 1434h-013m.

34- alfalsafat almueasirat fi 'uwruba, 'a. ma. bushinski, tarjamatu: eizat qarni, nashra: ealam almaerifati, alkuayti, 1992m.

35- lsan alearbi, muhamad bin makram bin manzurin, alnaashir: dar sadir - bayrut, altabeat al'uwlaa, bidun tarikhi.

36- allifyathan, al'usul altabieiat walsiyasiat lisultat aldawlati, tumas hubiz, tarjamatu: diana habib harb, bushraa saeb, tahqiqu: ridwan alsayidi, alnaashir: dar alfarabi, altabeat al'uwlaa 2011.

37- limadha last msyhyaan, birtrand rusulu, tarjamata: eabd alkarim nasif, dar altakwin liltaalif waltarjamat walnashri, altabeat al'uwlaa, 2015m.

38- lawamie al'anwar albahiati, wasawatie al'asrar al'athariat lisharh aldurat almadiat fi eaqidat alfirqat almaradiati, muhamad bin 'ahmad alsifarini, alnaashir: muasasat alkhafiqina, dimashqa, altabeat althaaniati, 1402 hi - 1982 mi.

39- ma aladhi 'uwmin bih maqalat fi alhuriyat waldiyn waleaqlaniati, birtrand rusulu, tarjamati: da. eudi alzaebi, dar mamduh eudwan lilnashr waltawziei, altabeat al'uwlaa, 2015m.

40- majalat aldirasat aleaqadiati, aleadad althaaminu, alsaadirat ean aljameiat aleilmiat alsaeudiat lieulum aleaqidat wal'adyan walfirq walmadhahibi, almadinat almunawarati.

41- majmue fatawaa shaykh al'iislam aibn taymiat, jameu: eabd alrahman bin qasimi, tabeat majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharif bi'iishraf wizarat alshuwuwn al'iislamiat wal'awqaf waldaewat wal'iirshad bialmamlakat alearabiat alsaeudiati, bidun raqm tabeati, 1425h-2004m.

42- madkhal 'iilaa alfikr alfilisafi, juzif bukhiniski, tarjimatu: mahmud hamdi zaqzuqa, dar alfikr alearabii, alqahirati, altabeat althaalithati, 1416h-1996m.

43- almadkhal 'iilaa alfalsafati, 'azfilid kulbat, tarjamatu: 'abu aleula eafifi, dar ealam al'adbi, bayrut, altabeat al'uwlaa, 2016m.

44- madkhal 'iilaa alfalsafat almueasirati, muhamad mihran rshwan, dar althaqafat lilnashr waltawzie, altabeat althaaniati, 1984m.

45- muejam maqayis allughati, li'abi alhusayn 'ahmad bin faris bin zakaria, tahqiqu: eabd alsalam muhamad harun, alnaashir: dar alfikri, altabeat al'uwlaa 1399h - 1979m.

46- miftah dar alsaeadati, liabn qiam aljawziati, tashih wamurajaeatu: fikri 'abu alnasr, nashra: dar alkutub aleilmiati, bayrut, bidun bayanat tabea.

47- almufradat fi gharayb alqurani, li'abi alqasim alhusayn bin muhamad almaeruf bialraaghib al'asfahani, tahqiq wanashri: markaz aldirasat walbuhuth bimaktabat nizar mustafaa albaz.

48- manbaea al'akhlaq waldiyn, hinri birijsun, tarjamatu: du. sami aldurubi, da. eabd allah eabd aldaaym, nashara: alhayyat almisriat aleamat liltaalif walnashri, 1971m.

49- man aleaqidat 'iilaa althawrati, hasan hanafay, dar altanwiri, bayruta, altabeat al'uwlaa, 1988m.

50- alminhaj fi shaeb al'iimani, li'abi eabd allah alhusayn bin alhasan alhalimi, tahqiqu: hilmi muhamad fudat, alnaashir: dar alfikri, altabeat al'uwlaa, eam 1399h.

51- manhaj hasan hanafay dirasat tahliliat naqdiatin, du. fahd alqurashi, nashr majalat albayani, alrayad, altabeat al'uwlaa, 1434h.

52- musueat alfalsafati, da. eabd alrahman badwi, almuasasat alearabiat lildirasat walnushri, bayrut, altabeat al'uwlaa, 1984m.

53- alnubuaatu, lishaykh al'iislam taqi aldiyn 'ahmad bin taymiata, tahqiqa: da. eabd aleaziz bin salih altuwyan, alnaashir: dar alfadilati, alrayad, altabeat al'uwlaa, 1437h/2016m.

54- humum alfikr walwatan, hasan hanafay, dar qaba'i, alqahirati, altabeat al'uwlaa, 1429h.